غمغم عامر في دهشة واستنكار: ماذا.. اللعنة.. لو كان هذا صحيحاً فلربما تطلب الأمر شهراً من البحث للعثور على طريقة إزاحة الحائط، وسنكون قد متنا قبلها جوعاً وعطشاً.

ماجد: ـ على أية حال ليس أمامنا غير البحث.

ووضع نهاية الشعلة برفق في تجويف في الحائط بدا أنه مخصص لذلك، فأنارت الشعلة المكان.. وأخذ ماجد يتحسس الحوائط وكل ركن فيها باحثاً عن اداة خاصة أو نتوء بارز.

كانت الحوائط تبدو مصمتة شبه ملساء كقلعة من الأسرار يستحيل أن تشي بأسرارها.. فأخذ يبذل كل جهده وهو يتحسس كل ركن فيها..

ولكن بعد أن انقضت ساعة كاملة تندت جبهته بالعرق الغزير وتأكد من الفشل، فغمغم يقول في تردد لأوّل مرة: لعلنا سلكنا طريقاً خاطئاً بالفعل وفقدنا الطريق الصحيح إلى الكنز.. فلو كانت هناك أداة توصلنا إلى الكنز وتحرك الحائط لاكتشفناها حتماً.

دق عامر الحائط بقبضته في غضب هاتفاً:

لو كنا قد سلكنا اتجاهاً خاطئاً حقاً لكان معنى هذا أننا فقدنا أيضاً طريق الخروج من هذه المتاهة الملعونة..

وصاح في ماجد غاضباً بثورة: أنت السبب.. فقد اعتمدت عليك اعتماداً تاماً.. ولكنك أخطأت وأثبت أنك لا تستحق كل ما بذلته معك من جهد وتعليم في السابق.. ولذلك سأكتشف طريق هذا الكنز الملعون بنفسي ولو قضيت في هذه المتاهة ألف عام فلن أغادرها قبل العثور على هذا الكنز.

واختطف الشعلة من فتحتها بالحائط في عنف..

وفي تلك اللحظة حدث أمر غير متوقع.. فقد صدر صوت ثقيل.. كأنه صرير آلات صدئة تعمل بعد طول توقف.. واستدار الحائط المعلقة به الشعلة حول نفسه، كاشفاً عن تجويف في الخلف..

كانت الحركة السحرية المطلوبة قد تمت بنجاح دون قصد.. بدق تجويف الشعلة بعنف..

وجحظت عينا عامر عندما وقعت على ما تحويه الغرفة السرية.. وقد سقط لهب الشعلة داخلها فكشف عن محتوياتها..

كان الكنز يبرق داخل الغرفة المتسعة جداً..

أطنان من الذهب.. حلى وعقود وسبائك ذهبية لا حصر لها، امتلأت بها قاعة واسعة تمتد عشرات الأمتار.. وقد تراصت إلى الحوائط صناديق من الماس والياقوت والعقيق وكل أنواع المجوهرات الثمينة.. وقد تغطت الحوائط بالذهب فصار بريقها يخطف الأبصار.

أوشك عامر أن يفقد وعيه للمفاجأة فتساند على الحائط كي لا ينهار للمشهد الفريد أمامه.. وجف حلقه وشعر كأنه في حلم.. وارتعدت شفتاه أخيراً وهمس في صوت محموم: الكنز.. لقد عثرنا على الكنز.. كنز الأمازون.

وقفز صارخاً واندفع نحو الصناديق الممتلئة عن آخرها بالذهب والجواهر وأخذ يحتضنها ويقبلها في حركات شبه مجنونة صارخاً: الكنز.. لقد عثرنا على الكنز.. راقب ماجد المشهد أمامه غير مصدق.. كان لا يكاد يصدق عينيه برؤية كل ذلك الذهب في مكان واحد في العالم.. فحتى البنوك المركزية في الدول العظمى، ما كانت تحتوي على كل هذا القدر من الذهب والجواهر!

وغمغم لنفسه: إن هذه الثروة كفيلة بتحويل غابات الأمازون إلى قطعة من أوروبا الحديثة، ولحسن الحظ أن احتفظ بها أصحابها في هذا المكان إلى حين الحاجة إليها.

استدار عامر وقد اتسعت عيناه عن آخرهما وهتف يقول: سوف أصير أغنى إنسان في هذا العالم..

سوف يجعلني نصيبي أغنى أغنياء الأرض.

ولوح بأصبعه في وجه ماجد مضيفاً في صوت متهدج، أنت أيضاً ستنال نصيبك من الثروة رغماً عنك حتى لو رفضت..

فلولاك ما تمكنت من بلوغ مكان الكنز أبداً.. وستشاركني الثراء والسباحة في بحر من الذهب.

تجاهل ماجد ما قاله رفيقه، وتساءل:

ـ ولكنك لم تخبرني يا عزيزي كيف ستتمكن من نقل نصيبك من الثروة خارج هذا الجبل، فلو قمنا بهذه المهمة وحدنا لاحتاج الأمر منا شهراً كاملاً.. أما نقل الثروة خارج الغابات فهو ما لا أظن أن أي إنسان يستطيع القيام به،

ومحاربات ستيلا تنتظرنا في كل ركن للاقتصاص منا والاستيلاء على الكنز بأكمله لحساب مليكتهن.

أطلق عامر ضحكة قصيرة خشنة ثم قال: لا يشغلك هذا الأمر..

فسأتمكن من نقل نصيبي من الكنز إلى أي بنك أختاره في أي مكان في العالم.

- فثق من ذلك.. هذه هي إحدى مفاجآتي التي لا أزال مصراً على الاحتفاظ بها حتى اللحظة الأخيرة!

وفجأة انبعث من الخلف صوت يقول باللغة الإنجليزية: ولكن من المؤكد أنني جئت لإفساد هذه المفاجأة أيها الثعلب الماكر.

استدار عامر وماجد إلى الخلف وقد أخذتهما المفاجأة..

وإلى الوراء في مدخل القاعة العريضة شاهداً آخر من كانا يتوقعان مشاهدته في ذلك المكان..

كانت ستيلا واقفة تنظر إليهما ساخرة.. وقد ارتص خلفها عشرات من محارباتها، وهن يصوبن سهامهن المسمومة إلى ماجد وعامر!

المفاجأة الأخيرة

اتسعت عينا عامر عن آخرهما وهو يحدق في ستيلا ومقاتلاتها.. وقد عكست ملامحه أكبر قدر من الدهشة.. وغمغم في ذهول: كيف تمكنت من اقتفاء أثرنا والوصول إلى هنا.. وقد استحال على مقاتلاتك عبور أرض الغوريللا؟

أطلقت ستيلا ضحكة ساخرة ناعمة.. وبدت ملامحها كذئبة ماكرة، وتقدمت صوب عامر قائلة في سخرية: لقد ساعدتني دون أن تدري أيها الأحمق الغبي. وانتزعت زراً في سترته أمسكته بين أصابعها بمكر أمام عيني عامر وهي تقول له: انظر إلى هذا الزر جيداً وستكتشف أنه جهاز إرسال صغير دقيق جداً أمكنني وضعه في سترتك أثناء فقدانك وعيك قبل وصول زميلك إليك، ومن خلاله أمكنني بجهاز رصد إليكتروني أن أحدد موقفك بعد هربك

بكل دقة، وبطريقتي الخاصة أمكنني اللحاق بكما في أسرع وقت.

هتف عامر في غضب شديد: ـ أيتها اللعينة الماكرة.. إذن فقد كانت مطاردة محارباتك لنا من قبيل الخداع، لقد مارست معنا أسلوب المحترفات.

التهبت عينا ستيلا وهي تقول:

ـ لستم أنتم فقط من يجيدون الخداع أيها المصري.. حتى لو كنت عميلاً سابقاً للمخابرات المصرية، واستعنت بخبرة زميل قديم لك.. وإنني أعترف له بالبراعة.. ولكن ذلك لا يمنحكما حق البقاء أحياء أكثر من ذلك، فالمهم من يفوز في النهاية!

حدق ماجد بقوة في ستيلا.. وعاوده إحساسه بأنه شاهدها من قبل.. وعندما نطقت بعباراتها القديمة تدفقت الذكرى بقوة إلى عقله.

وتذكرها على الفور.. كان اسمها الحقيقي ريتا تايلور.. وقد خاض معها صراعاً قصيراً منذ بضع سنوات في «كوبا» عندما كانت تعمل لحساب المخابرات السوفيتية قبل انهيار

الاتحاد السوفياتي، ولكنها استطاعت الهرب في اللحظة الأخيرة.. كان كل شيء فيها يبدو طبيعياً.. عدا أنفها الذي صغرته بجراحة تجميل، ووجنتيها اللتين صارتا أكثر بروزاً..

واصابه غضب لاكتشافه.. كان عليه الوصول إلى تلك الحقيقة مبكراً.. منذ دعته المرة الأولى بالعميل المصري وهو في قبضتها!

ولاحظت ريتا نظرات ماجد فقالت بسخرية: هل تذكرتني أخيراً أيها العميل المصري.. لعلك لا تزال تذكر مطاردتك لي وزملائي في شوارع «هافانا» بعد أن أوقعت بشبكتنا هناك وتسببت في القبض على كل زملائي.. ولكن ها نحن نلتقي ثانية لتخليص حساب قديم لنا.

ضاقت عينا عامر بدهشة بالغة وهتف: مرحى.. يبدو أن هناك علاقة قديمة بينكما.. وأنني الطرف الغريب، فأي قدر عجيب هذا قد جمعنا معاً. قال ماجد في صرامة وبرود:

- إنك لست ستيلا الحقيقية.. لقد استطعت أن تحلي محلها بعدة عمليات تجميل لتصيري شبيهة بها..

أليس كذلك؟

أجابته ريتا ساخرة:

-إنه استنتاج متأخر يا عزيزي.. فبعد أن هزمت في معركتي ضدك ثم إجباري على الاستقالة فصرت عاطلة عن العمل.. ثم تعرفت على ستيلا وعرفت بقصتها.. وعندما أرسل والدها في استدعائها لتصير ملكة الأمازون وتحمي كنوزه، أدركت أن القدر وضع في يدي صيداً ثميناً، فقتلت ستيلا، وبعدة عمليات تجميل سريعة صرت شبيهة لها.. وأسرعت إلى هذه الغابات الملعونة فشتتت شمل إخوة ستيلا حتى لا يكتشف أحدهم حقيقتي.. ثم منعت أي رجل من دخول هذه الغابات حتى يتسنى لي إحكام قبضتي عليها للبحث عن الكنز الذي أخفاه والد ستيلا اللعين، وتحملت مشاق الحياة في هذه الغابات البدائية عدة سنين وتعلمت لغتها البدائية دون أن أفقد الأمل في العثور على الكنز وقد كنت على حق في تشبثي بهذا الأمل.

وأشارت إلى عامر مضيفة: وقد ساق لي القدر شخصاً أحمق كان الوحيد الذي يمتلك الخريطة التي تكشف مكان

الكنز.. فخططت بكل ما أملك من مهارة للحصول عليه.. وهأنذا قد وضعت قبضتي فوقه.. والعجيب أن من قادني إليه.. هو الشخص الوحيد الذي تمنيت أن أمزقه بمخالبي قبل موتي، ولم يشأ القدر أن يحرمني من هذه المتعة أيضاً.. فأي حظ يساندني؟

وأطلقت ستيلا ضحكة عالية متوحشة..

وغمغم عامر في دهشة: أي قصة عجيبة هذه أشبه بقصص روايات الخيال.. إن ما سمعته الآن يفسر أشياء كثيرة كانت غامضة عليَّ.

واستدار إلى محاربات الأمازون وصاح فيهن غاضباً: إن هذه الفتاة ليست هي ملكتكن ستيلا بل أخرى زائفة حلت محلها وعليكن أن تقبضن عليها وقتلها.

ولكن لم تتحرك إحدى محاربات الأمازون، وقال ماجد لعامر: وفر مجهودك يا عزيزي، فإن هؤلاء المحاربات لا يفهمن كلمة واحدة من حديثك، لأنهن لا يتحدثن غير لغة الغابات التي لا تجيدها غير هذه الذئبة الماكرة ريتا.

تلاعبت ابتسامة شيطانية على وجه ريتا، وقالت:

ـ أنت على حق أيها المصري.. وهكذا تريان أنني أتحكم في الموقف تماماً.. وسوف استولي على هذا الكنز وحدي.. فأصير أغنى امرأة في العالم.. وأغادر هذه الغابات الملعونة الى الأبد.

هتف ماجد غاضباً: إنك لن تستولي على هذا الكنز، فهو ملك لسكان الأمازون.

قالت ريتا التي تقمصت شخصية ستيلا:

ومن يمكنه أن يقرر ذلك.. إن هناك طائرة هليكوبتر من النوع المخصص لنقل العتاد العسكري تنتظر أمام فتحة الكهف، أمكنني تدبيرها من خلال أصدقائي القدامى وتنتظرني بالخارج، وما أن تمتلئ بالذهب والجواهر، حتى أتخلص من الجميع، ولا يعود هناك شاهد واحد على ما حدث.

والتفتت الى رفيقاتها، فانقضضن على عامر وماجد، وقمن بتقييدهما بالحبال، وحاول عامر المقاومة فهتف ماجد به: توقف عن المقاومة، فقد يكون ثمنها سهماً مسموماً طائشاً يرتشق في قلبك أو رشقة سكين.

وأصدرت ريتا أوامرها لمحاربات الأمازون، فحملت كل منهن صندوقاً ثقيلاً مليئاً بالذهب والجواهر واتجهن به خارجات من القاعة. كان عدد الأمازونيات أكثر من خمسين.. وأمكنهن خلال ساعة واحدة تفريغ محتويات القاعة عن آخرها.. ثم وقفن في انتظار تلبية أوامر ريتا التي ألقت نظرة أخيرة على أسيريها وقالت ساخرة: ليس أسهل من أن آمر بقتلكما بسهمين مسمَّمين، أو حتى بتمزيق أطرافكما.. ولكن هذا سيكون موتاً سريعاً لكما. ولن يشفى غليلي للانتقام، ولذلك سأترككما حيين مقيدين، لتعانيا من الجوع والعطش وتتعذبا ألف مرة قبل أن تموتا.. لينضم هيكلاكما العظميان إلى عشرات آخرين في الخارج.

وأطلقت ريتا ضحكة عالية شيطانية.. ثم استدارت مغادرة المكان..

وصاح عامر في غضب شديد: توقفي أيتها الماكرة.. إنك لن تهربي بالكنز.. وحاول حل قيوده ولكن كان من المستحيل عليه ذلك..

وراقب ماجد ما يحدث حوله في صمت.. كان يشعر بغضب شديد وإحساس عميق بالخديعة.. ولام نفسه ألف مرة لأنه لم يكتشف حقيقة ملكة الأمازون المزيفة مبكراً.. وبعد قليل توقف عامر عن محاولة حل قيوده والصياح، وهمس لماجد: هل ابتعدت هذه الشيطانة ومقاتلات الأمازون؟

أجابه ماجد: من المؤكد أنهن غادرن الكهف الآن.

غمغم عامر في غيظ شديد: ولماذا لم يظهر هذا الأحمق حتى هذه اللحظة؟

تساءل ماجد بدهشة: من تقصد؟

وفي مدخل الحجرة ظهر عملاق أسمر فوق شفتيه ابتسامة عريضة وهو يقول: هأنذا قد حضرت يا سيدي..

وأرجو ألا أكون قد تأخرت كثيراً.

ولم يكن ذلك العملاق غير زامبو.. النوبي الأسمر!

* * *

المواجهة الأخيرة

لم يستطع ماجد كتمان تأثير المفاجأة عليه، وهتف غير مصدق: أنت لا تزال حياً؟

أجابه زامبو وهو يحل قيوده: كان لا بد من القيام بخدعة صغيرة مع هذه الذئبة، ولم يؤثر في مفعول سهمها المسموم لأنني كنت قد تناولت ترياقاً ضد السموم من قبل، فتظاهرت بالموت، وعندما حملتني مقاتلاتها وألقينني في الغابة لتلتهمني وحوشها، تنكرت في زي امرأة أمازونية عجوز وبقيت قريباً للمراقبة، وعندما شاهدت هليكوبتر حربية ضخمة تحط في سمائها ومحاربات الأمازون يركبنها مع ملكتهن أدركت أنهن ذاهبات لمفاجأتكما، فتعلقت بمؤخرة الهليكوبتر، وقفزت مختفياً في الوقت المناسب لكي لا تراني إحداهن، وبعد أن تم نقل الذهب للهليكوبتر أسرعت لإنقاذكما.

حل عامر قيوده بمساعدة زامبو وهو يقول له:

-لقد قمت بالمهمة بكل دقة يا زامبو.

والتفت إلى ماجد في براءة قائلاً: كنت مضطراً للاحتفاظ بمفاجأتي الأخيرة سراً.. فقد كنت آمل أن أنهي العمل دون مساعدة زامبو، ولكن يبدو أنه ملاكي الحارس، وهو يصر على إنقاذي رغماً عني.

هز ماجد رأسه في أسف لا يخلو من إعجاب قائلاً: يبدو أنني المشاهد الوحيد لحفل المفاجآت الليلة.

أجابه عامر ضاحكاً: لعل هذا يؤكد لك أنني ما زلت ثعلباً ماكراً كما كنت من قبل، أجيد حبك الخطط والمفاجآت.

واندفع إلى مدخل القاعة هاتفاً: والآن فلنسرع إلى الخارج، وأرجو أن نلحق بتلك الذئبة قبل فرارها بالكنز.

ابتسم زامبو ابتسامة عريضة كشفت صف أسنانه الأبيض المنتظم وقال: لن تقلع الهليكوبتر قبل دقائق يا سيدي، فقد نال قائدها مني ضربة على رأسه، لو نالها شمبانزي لفقد وعيه عاماً.

هتف عامر:

-رائع يا زامبو.. أنت لا تنسى التفاصيل الدقيقة أبداً.. ولذلك ربما أفكر في منحك مائة مليون جنيه كمكافأة زيادة على نصيبك في الكنز.. وإنني أفكر كيف سيكون وقع تلك المفاجأة الأخيرة على تلك الذئبة الأمازونية المزيفة.

واندفعوا ثلاثتهم يعدون خارجين من الكهف الملتوي بكل سرعتهم، دون أن يفقدوا اتجاههم الصحيح.

وأخيراً لاح مدخل الكهف..

وما كادوا يبرزون من فتحته، حتى شاهدوا قائد الهليكوبتر لا يزال فاقداً وعيه، وقد سال خيط من الدماء فوق جبهته.. وقد امتلأت الهليكوبتر بصناديق الذهب عن آخرها، ووقفت محاربات الأمازون حول الهليكوبتر.. وبعضهن يحاولن إفاقة الطيار.

وهتف ماجد: إن الطائر لم يحلق في السماء بعد.. فدعونا نلحق به.

ولكن ومن الخلف برزت ريتا شاهرة مدفعها الرشاش، وصوبته إلى ماجد قائلة: من سوء حظكم أنني شككت في

الأمر عندما عثرت على قائد الهليكوبتر الغبي مصاباً وفاقداً وعيه.. وها قد صحت ظنوني.. فإن حاستي السادسة لا تخطئ أبداً.

وأشارت إلى زامبو في حقد قائلة: إنني لا أسمح لمن يخدعني بالعيش طويلاً.

وأجابها ماجد في صرامة: ولا أنا كذلك.

وطارت قدمه لتطيح بمدفع ريتا الرشاش.. ولكن وفي نفس اللحظة اندفعت عشرات المحاربات نحو ماجد وعامر وزامبو..

وكان رجل المهام الصعبة يكره أن يدخل معركة ضد امرأة ما.. ويستخدم قبضته ضدها.. ولكن لم يكن هناك مفر من ذلك..

وكان هذا حال عامر أيضاً.. أما زامبو فكان قتال النساء متعة بالنسبة له.. وخاصة إن كنَّ من صنف المتوحشة.

وهكذا طارت اللكمات والركلات في كل اتجاه.. واستحال على الأمازونيات استخدام سهامهن في ذلك التلاحم الدامي..

ولمح ماجد ريتا وقد قفزت إلى الهليكوبتر في إفاقة قائدها.. فصاح غاضباً: إن هذه الذئبة توشك على الهرب.

وأدرك زامبو عبث المعركة التي يخوضها، فصرخ في الأمازونيات بلغتهن: إن ملكتكن مزيفة، وتوشك على الهرب بكنز الأمازون، فأسرعن بمنعها والقبض عليها، وستتأكدن من صدق قولي.

وفي الحال توقفت مقاتلات الأمازون عن القتال واستدارت رؤوسهن نحو الهليكوبتر التي دارت مراوحها وأوشكت على الإقلاع.

وصرخت ريتا من داخل الهليكوبتر وهي تطلق ضحكة شيطانية: إنه لم ينطق بغير الصدق.. ولكنه فعل متأخراً، فقد فزت بالغنيمة وحدي.

وصوبت صاروخاً من الهليكوبتر وأطلقته.. وانفجر الصاروخ في دوي عنيف فأطاح بعدد من المحاربات قتيلات ومصابات.. وهتف ماجد في غضب شديد: سوف تتسبب هذه المتوحشة في مذبحة.. ويجب منعها بأي حال.

واندفع نحو الهليكوبتر متحاشياً سيل الطلقات الذي وجهته ريتا تجاهه، وتعلق بحاجز الطائرة السفلي في اللحظة الأخيرة وهي ترتفع إلى أعلى.

وتعلقت أبصار الجميع بماجد وهو يتأرجح في الهواء ثم وهو يحطم زجاج الباب المجاور له بقدمه، ويقفز داخل الهليكوبتر..

وانطلقت بضع رصاصات سمع صوتها الواقفون بأسفل.. ولم يكن لديهم شك في أن ريتا هي التي أطلقتها تجاه ماجد.. فأوشك قلب عامر أن يتوقف عن النبض، وغمغم في ذهول: مستحيل أن تكون نهاية رقم (٧٠٠) على تلك الصورة.

وشاهد الهليكوبتر وهي تترنح بغير اتزان في الهواء، فأدرك أن ثمة معركة تدور بداخلها..

كانت الطائرة قد علت كثيراً.. ولكنها عاودت الهبوط الحاد.. وبدا كأن قائدها قد فقد السيطرة عليها.. ثم اندفعت لتهوي من أعلى نحو الشلال..

فصرخ عامر: سوف تنفجر الهليكوبتر اذا اصطدمت بالشلال.

وقبل الاصطدام بلحظة واحدة ظهر ماجد وهو يطل برأسه من باب الهليكوبتر الجانبي، ثم قفز في قلب مياه الشلال.

ووقع الاصطدام في اللحظة التالية.. وانفجرت الهليكوبتر وتهاوت لأسفل وقد تناثرت منها صناديق الذهب والجواهر، لتغوص سريعاً أسفل مياه الشلال العميقة، وتستقر فيها على عمق عشرات الأمتار.. ليجرفها التيار بعد ذلك في كل اتجاه.

صاح عامر في ذهول: الكنز.. لقد ضاع الكنز.. ضاع كل شيء.

ومن قلب النهر المتلاطم بالأمواج، ظهر شخص يغالب الأمواج والتيار العنيف وهو يسبح نحو الشاطئ..

فبلغه بعد صراع عنيف ولامس الشاطئ بقدميه..

كان هو رجل المهام الصعبة.. ماجد شريف.. سليماً دون خدش واحد.

واندفع عامر نحوه وغمغم في ذهول: إنني لا أصدق أنك نجوت.

ـ لعل الفضل يرجع إلى ما تعلمته من مهارات سابقاً من معلمي الخاص.. وإن كان المؤسف أن الكنز قد غرق في قلب الشلال والنهر.

اكتست عينا عامر بنظرة صارمة عميقة وقال وهو يراقب مياه الشلال: من يدري.. قد أفكر يوماً ما في استعادة هذا الكنز مرة أخرى عندما أبدأ في الشعور بالملل من حياتي الثانية.

تأمل ماجد رفيقه وسأله:

ـ ألست حزيناً على ضياع نصيبك من الثروة والكنز؟

اتسعت ابتسامة عامر الرشيدي وهو يقول في مرح:

ـ ولماذا أحزن يا عزيزي.. ولدي من الأموال الكثير.. وخاصة بعد أن تزاملنا مرة أخرى في مهمة رائعة أعادت لي نشاطي وحيويتي.. وخلصنا هذه الغابات من ملكتها المزيفة المتوحشة.

تأمل ماجد رفيقه.. فبدا له عامر الرشيدي شخصاً مختلفاً مرة أخرى.. وقد بدت مشاعره الحقيقية..

لم يكن رجلاً يسعى وراء الثروة عن أي طريق..

اكتشف ماجد الحقيقة متأخراً.. كانت ملامح رقم (٣١٢)

تشي بالمتعة والسرور.. ملامح رجل اعتاد الأخطار، وصنع لنفسه مغامرة خاصة مليئة بالمهالك، أراد خوض وقهر أخطارها، ليثبت لنفسه أنه لا يزال قادراً على العمل الصعب.

وقال زامبو في بعض الأسف: لقد ضاع الكنز ولم يعد هناك ما نفعله.

ربت عامر على كتف النوبي الأسمر قائلاً: أنت على حق يا عزيزي.. وإن كنت أنت الخاسر الأكبر في ضياع الكنز.. ولكني أعدك بتعويضك ومنحك زيادة محترمة في راتبك الشهري.. فهل تكفيك مائة جنيه؟

وانفجر عامر الرشيدي ضاحكاً بشده يشاركه ماجد، وحتى زامبو افتر ثغره عن ابتسامة عريضة.. وشرعوا عائدين جميعاً من حيث أتوا.. تاركين محاربات الأمازون يجمعن ضحايا ملكتهن المزيفة، وقد تعلمن مما حدث درساً قاسياً.. لم يكن من شك أن سيعيد إليهن طبيعتهن الأولى... ليعود الأمان المفقود إلى غاباتهن مرة أخرى.

* * *

الفهرس

العملية القادمة:

جحيم الثعالب

● تتمكن «الموساد» الإسرائيلية بحيلة بارعة من الحصول على حقيبة ديبلوماسية مصرية بداخلها وثائق وأسرار خطيرة ـ حيث يذهب بها ثعالب «الموساد» إلى «تل أبيب».

وفي قلب جحيم «تل أبيب» تدور هذه المغامرة التي لا مثيل لها.

فهل يستطيع ماجد شريف، رجل المهام الصعبة، استعادة الحقيبة الديبلوماسية من ثعالب «الموساد»؟

هذه العملية:

تأليف: مجدي صابر

ملكة الأمازون

فجأة اكتشف «ماجد شريف» السرَّ الرهيب الذي دعا صديقه «عامر الرشيدي» إلى اختراق الغابات القاتلة في الأمازون.

وعندما ينجح الاثنان في الفرار من قبضة ملكة الأمازون يكتشفان أنهما يهربان إلى الموت ذاته... تُرى! ماذا كان السر؟

دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

تحيا مصر

٢٢
سلسلة رجل المهام الصعبة
ملكة الأمازون

سلسلة

رجل المهام الصعبة

المغامرة الثانية والعشرون

ملكة الأمازون

تأليف : مجدي صابر

دار الجيل

بيروت

الطبعة الأولى
١٩٩٥

دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

ص.ب ٨٧٣٧ - برقياً : دار جيلاب - تلكس : ٤٢٦٤١ دار جيل

رجل المهام الصعبة:

إنها سلسلة جديدة حافلة بالاثارة والمغامرة نقدّمها لك أيها القارئ العربي الكريم..

ففي ظل عالم بات يعتمد كثيراً على أجهزة مخابراته ووسائلها السرية لتحقيق أهدافه.. وفي ظل ما يسمى بحرب المخابرات السرية.. وفي ظل أقصى درجة من المهارة والذكاء يبرز اسم « ماجد شريف ».. فهو طراز جديد فريد لا مثيل له في عالم المخابرات..

وإذا كان « جيمس بوند » هو أسطورة الغرب في دنيا المخابرات.. فإن « ماجد شريف » هو الأسطورة القادمة من الشرق.. من الوطن العربي الكبير..

فهو الرجل الذي لا يقهر.. والذي يدخره رؤساؤه للحظة الأخيرة.. حيث لا يكون هناك حل آخر غير « ماجد شريف »..

ولم يحدث أن خيّب « ماجد » أمل رؤسائه فيه أبداً..

الهروب من الجحيم

بدأ ماجد يستعيد وعيه شيئاً فشيئاً.. وشعر كأنه يسبح في بحر لا نهاية له من الضباب وهو يجاهد لكي يقف فوق أرض صلبة.

وسمع صوتاً يهمس إليه: هيا استعد وعيك يا رقم (٧٠٠).. فلا وقت طويلاً أمامنا. وفتح عينيه ببطء.. وميز وجه عامر الرشيدي وهو يهمس له على مسافة قريبة.

كان الوقت فجراً وقد أوشك الصباح أن ينشر أستار الضوء مبدداً عتمة الليل.. وقد راح عامر الرشيدي يرقبه باهتمام شديد وتوتر بالغ.

تنبه ماجد تماماً*.. كان عامر الرشيدي مقيداً إلى عامودين

---

* راجع الجزء الأول من هذه المغامرة وهي (المتوحشة) رقم (٢١)

خشبيين متجاورين، في قلب ساحة القرية الأمازونية وقد ساد الهدوء المكان، وبدا كأن حيوانات الغابة وطيورها، قد راحت في سبات أو إغماءة طويلة.. حتى الحارسات الأمازونيات المكلفات بحراستهما، رقدن على الأرض ينعمن بنوم عميق، وليس من أحد مستيقظ في المكان بأكمله غيرهما.

وهمس عامر الرشيدي في لهفة: لقد استعدت وعيك أخيراً يا رقم (٧٠٠).. وخشيت أن يحدث ذلك بعد أن يكون الأوان قد فات واستيقظت كل أولئك المتوحشات، فيستحيل علينا العمل في حرية.

وتذكر ماجد كل شيء، ذلك المسحوق الأبيض الذي جعله يفقد وعيه بعد أن كانت ستيلا في قبضته، وأوشكت خطته في الهرب على النجاح محتفظاً بملكة الأمازون أسيرة له تؤمن له مغادرة الغابة في أمان.

وقال في غضب: أين ذهبت هذه الشيطانة ملكة الأمازونيات؟

أجابه عامر هامساً: اخفض صوتك لئلا تستيقظ الحارسات.. إن ستيلا في كوخها نائمة بعد أن اطمأنت إلى

وقوعك في أسرها، ولعلها تحلم بأن تعد لنا برنامجاً حافلاً، تدعو فيه شياطينها لتشاركها متعة إذاقتنا كل ما في جعبتها من جحيم.

تذكر ماجد زامبو، فاكتسى وجهه بالحزن والأسى وقال: ماذا فعلوا بجثة النوبي؟

أجابه عامر دون أن تعكس ملامحه أي مشاعر: لقد ألقوا بها في قلب الأحراج لتلتهمها الوحوش.

تطلع ماجد إلى عامر الرشيدي، وتأمله بدهشة ثم قال: كنت أظن أنك ستحزن لمقتل تابعك المخلص الذي غامر بحياته لإنقاذك.

همس عامر: إنني حزين بالفعل ولكن الحزن لن يفيد بشيء.. وإذا لم نبادر بالعمل السريع فسنلحق بزامبو ولن يتسع لنا الوقت حتى لنحزن على انفسنا.. فأنا لم أنس قواعد عملي السابق، وهو ألا أفقد الوقت الثمين بإضاعته في مشاعر لا تجدي.

تطلع ماجد إلى عامر.. وبدا له أنه تغير كثيراً عما كان من قبل، وتساءل إن كانت حياة الغابات هي التي غيرته هكذا، أم التعذيب الوحشي الذي لاقاه على أيدي ستيلا وأتباعها؟

وهمس عامر في صوت أقل خفوتاً وهو يتلفت حوله: هذه هي فرصتنا الذهبية للهرب والتخلص من قيودنا قبل انبلاج نور الصباح.. وإلا كان الموت نصيبنا.. فهيا حاول تخليصنا يا رقم (٧٠٠) فأنت أفضل من يفعل ذلك، ولا تحاول الاعتماد عليَّ لأنني صرت مثل دب عجوز ينتظر الموت في هدوء لعدم استطاعته الخروج للصيد.

لم ينطق ماجد وزم شفتيه في غضب واستياء، واختبر قيوده فوجدها قاسية يصعب تمزيقها.. ولكن كانت ساقاه حرتين طليقتين يمكنهما العمل.. وعلى مسافة أقل من متر لمح سكين احدى الحارسات تتدلى من حزامها وهي راقدة على الأرض غارقة في النوم، وعلى الفور بدأ العمل، فخلع حذاء قدمه اليمنى مستعيناً بقدمه الأخرى، ومد قدمه بأقصى ما يستطيع محاولاً الوصول إلى السكين.

كانت قيود يده تمنعه من الحركة ولكنه جاهد بعنف حتى لامست أصابع قدمه قبضة السكين في حزام الأمازونية، فأطبقت عليها، وجذبها في رفق لكي لا يوقظها.. كانت المحاولة شاقة ولكن ماجد استمر فيها.

وبعد لحظة كانت أصابع قدمه تمسك بالسكين، فهتف عامر: رائع يا رقم (٧٠٠) ولم تخيب آمالي فيك، والآن اظهر لنا مزيداً من المهارة.

رفع ماجد قدمه بالسكين نحو قيود عامر.. كانت المسافة بينهما لا تقل عن متر.. وبذل ماجد كل مهارته وقوته لكي يتمكن من تمزيق قيود رفيقه بسكينه والاحتفاظ بسلاحه بين أصابع قدمه.

وبدأت الحبال تتمزق ببطء، وماجد يعمل باذلاً كل قوته وقد تفصدت عروقه وبلله العرق غزيراً.

وأخيراً تحرر عامر، فجذب يديه بقوة وتألقت عيناه ببريق حاد، وهتف: رائع يا ماجد.. إنك لم تفقد شيئاً من مهارتك أبداً.. بل لعلها تضاعفت عما قبل.. فاكتسبت من المهارة ما لم يحلم أستاذك به!

والتقط السكين ومزق بها قيود ماجد، الذي ارتدى حذاءه، وتطلع الاثنان حولهما في حذر، كان الهدوء لا يزال يخيم على القرية، والحارسات يغططن في نوم عميق.. كأنهن تناولن شراباً مخدراً لن يفقن منه قبل وقت طويل.

وهمس عامر في انتصار: هيا بنا.. فهذه هي فرصتنا الذهبية للهرب والجميع نائمون.

واندفع إلى قلب الأشجار الكثيفة المحيطة بالقرية وماجد في أثره.

وبدا عامر الرشيدي نشيطاً بدرجة غير عادية، بالرغم من جروحه وآثار التعذيب عليه، وفسر الأمر لماجد في ابتهاج قائلاً: لقد قامت ساحرة القبيلة مساء أمس وأنت في غير وعيك، بمداواة جراحي ببعض الأعشاب فأوشكت على الالتئام بسرعة غريبة، كما ناولتني شراباً منشطاً عجيباً، لا شك أنه هو السبب في تلك القوة غير العادية التي أشعر بها الآن بعد أن أوشكت على الموت لشدة تعذيبي وجراحي. وربما أفكر يوماً ما في استغلال تلك الأعشاب والعقاقير وأصنع منها أدوية رائعة ستجعلني أكسب من ورائها الملايين.

تطلع ماجد إلى عامر بدهشة، فأكمل رقم (٣١٢) مبتهجاً: لقد أرادت ستيلا أن استعيد قواي لأصير كالشاة السمينة قبل ذبحها.. ولكن لم يدر في عقول هؤلاء المتوحشات وملكتهن

أنهن سيساعدنني على الهرب رغماً عنهن بتلك الأعشاب والعقاقير. فشكراً لقلة حذرهن وفطنتهن!

وابتعد الاثنان مسافة كافية قبل أن تشرق شمس الصباح ساخنة لاهبة بعد ساعات قليلة، فوقف عامر وهو يجفف عرقه الغزير، وقال ببعض القلق: من المؤكد أن كل محاربات ستيلا قد استيقظن من نومهن الآن. وسيكتشفن هربنا فوراً، فيتحرك كل أتباع ملكة الأمازون في مطاردتنا.

أنصت ماجد لما حوله قليلاً وارتسمت في عينيه نظرة باردة، وهو يقول لعامر: لا أظن أن ما تقوله صحيح يا عزيزي.. فلن يسعى أحد إلى مطاردتنا.

رفع عامر حاجبيه بدهشة متسائلاً:

- ماذا تقصد بذلك؟

شاعت ابتسامة ساخرة على وجه ماجد وهو يلتقط ثمرة ناضجة أخذ يتذوقها وهو يقول: اقصد أن محاولتنا الهرب من القرية لم تكن مفاجأة لستيلا أو محارباتها.. بل لعل حارساتنا كن يتظاهرن بالنوم وهن أشد انتباها من ذئب ماكر، ولعل

ستيلا كانت تراقبنا من كوخها ونحن نهرب بعد أن سهلت لنا ذلك، وهي تضحك ساخرة من شدة إعجابنا بأنفسنا لأننا تصورنا أننا قمنا بخداعها ببراعة منقطعة النظير.

ابتلع عامر الرشيدي لعابه في صوت مسموع وقال محتجا:

-ما هذا الذي تقوله يا رقم (٧٠٠) إن ستيلا كانت تنوي أن تمزقنا إلى ألف قطعة فكيف تقول إنها سهلت لنا الهرب، وهي التي دبرت لنا عشرات الكمائن لاصطيادنا:

هز ماجد كتفيه بحركة ساخرة قائلاً:

-إن الأمر واضح كالشمس.. فأولا إن نوم حارساتنا ليس أمراً طبيعياً بأي حال، فهل نامت إحدى حارساتك في الليالي السابقة أو غفلت عيونهن عنك، قبل وصولي إليك؟

غمغم عامر بدهشة: لا.. هذا لم يحدث أبداً، فقد كن يقضين الليل ساهرات وعيونهن مفتوحة على آخرها، كعيون القطط التي ترى في الظلام.

التقط ماجد ثمرة أخرى مسحها بيده وراح يلتهمها قائلاً:

-وهل كانت هؤلاء الحارسات يتسلحن بسكين من قبل؟

عقد عامر حاجبيه بدهشة مجيباً:

ـ لا .. فهن عادة يتسلحن بالأقواس والحراب فقط .. و ستيلا وحدها هي التي تحتفظ بخنجر كامتياز لها.

زادت الابتسامة الساخرة على وجه ماجد وقال:

ـ أرأيت .. لقد كانت تلك الحارسة التي استولينا على سكينها نائمة وتتدلى سكينها على مسافة قريبة منا، لكي نستخدم السكين بنفس الطريقة التي استخدمناها للهرب .. ولو لم يكن ذلك صحيحاً، لكانت ستيلا قد أصدرت أوامرها إلى محارباتها بمطاردتنا بعد اكتشاف هربنا، ولتعالت دقات الطبول تحمل أوامرها إلى كل محارباتها في كل أنحاء الغابة للقبض علينا، وما كنا لنتحرك خطوة واحدة في أي اتجاه، دون أن تصادفنا عشرات من محاربات الأمازون خلف كل شجرة!

تأمل عامر ماجد بدهشة، كان الأمر يبدو غريباً بالفعل، ونكس رأسه بعد لحظة هامساً: إن هذا الاستنتاج يبدو صحيحاً تماماً .. ولكن لماذا تفعل ستيلا ذلك، لماذا سهلت لنا الهرب بمثل تلك الطريقة الغريبة؟

تجاهل ماجد سؤال عامر وواصل قائلاً في تقطيب: لقد بدأت أفهم أيضاً أمراً غريباً صادفني أنا وزامبو عندما كنا نقتفي أثر تلك المحاربة التي أصبتها لكي تقودنا إلى مكان ستيلا، فمن العجيب أننا خلال اقتفاء أثرها، لم نصادف أياً من مقاتلات الأمازون، بالرغم من أنهن في العادة ينتشرن في كل مكان بالغابة، وخاصة في الأماكن القريبة من ستيلا لحمايتها.

بلل عامر الرشيدي شفتيه الجافتين في حيرة عكستها نظرته، وغمغم في تساؤل قلق:

ـ وماذا يعني ذلك؟

التقط ماجد حشرة لاصقة من فوق ذراعه وسحقها بقدمه، وتطلع إلى رفيقه بصرامة مجيباً: إن تصرف هؤلاء الأمازونيات معناه أنهن اختفين عمداً.. ليسهل لنا تتبع زميلتهن المصابة دون مشقة لكي نصل إلى مكانك.. وهنا يقدننا إلى قتال آخر.

ـ ما هو؟

ـ إن ستيلا فكرت كيف تقودني و زامبو إلى معسكرها بأسرع الطرق وبدون أن نشك في ذلك، فكان أن دفعت بتلك

المحاربة لتتبعنا على مسافة قريبة وتكشف نفسها لنا، وهي واثقة أننا سنأسرها أو نصيبها ونتبعها عن بعد، لكي تصل في النهاية إلى مكانك، وهو ما يفسر أن هذه المحاربة لم تحاول اللجوء إلى أقرب قرية أمازونية لتلقى العلاج، بل سعت للعودة إلى قرية ستيلا تنفيذاً لأوامرها. وهي واثقة أننا نتبعها إلى نفس المكان.

هتف عامر مستنكراً:

-ما الذي تقوله.. مستحيل أن تكون هذه هي الحقيقة.

هتف ماجد في صرامة: بل هذه هي الحقيقة بكل تأكيد.. وإذا أضفنا إليها أنني و زامبو عندما هاجمتنا الأمازونيات، تعمدن إصابتنا وليس قتلنا، فقد كان بإمكانهن ذلك بسهامهن المسمومة.. ولكنهن أصبن زامبو بسهم غير مسموم فقط، ولا شك انهن كن يردن أن نبقى على قيد الحياة حتى نصل إليك. وبدون شك فقد كانت ستيلا تعلم تماماً بخبرة زامبو بهذه الغابة، وأنني لن أتعرض لأخطارها وأنا معه، وهو ما حدث بالفعل.. أي أنَّها كانت تهدف في النهاية إلى وصولنا أحياء إليك.

جفف عامر الرشيدي عرقه الغزير الملتمع على جبهته وقال:

ـ ولكن ستيلا قتلت زامبو بعد وصولكما القرية.

أومأ ماجد برأسه مجيباً:

ـ هذا صحيح، ولكنه حدث بعد أن انتهت مهمته في أن يقودني إلى الغابة وأصل إليك وأحاول إنقاذك.. وهو ما حدث بالضبط، فقد خططت ستيلا لذلك ببراعة وساعدتنا على الهرب بدون أن تشك في ذلك، بل إنها تعمدت أن تمنحك ساحرة القرية عقاقير لتساعد على سرعة شفاء جروحك وتمنحك النشاط اللازم لهربك معي.. ولعل هذا يفسر هذه النقطة الغامضة. هذه هي النقطة التي انتهينا عندها.. والذي لا شك عندي فيه الآن، هو أن عيون ستيلا تراقبنا الآن في أي مكان سنخطوه داخل الغابة.. فنحن ما زلنا سجناء لديها بشكل آخر.

تطلع عامر الرشيدي حوله في قلق، كأنه يبحث عن عين تراقبه، واستدار إلى ماجد قائلاً: ماذا تعني بما قلته.. وما هدف ستيلا من كل ذلك؟

ـ أعني أنها تنتظر منا أن نفعل شيئاً خاصاً.. ليس هو الهرب من الغابة لننجو بحياتنا بكل تأكيد.. أليس كذلك؟

تضاعفت الحيرة المرتسمة على وجه عامر وقال:

ـ ماذا تقصد بحديثك يا رقم (٧٠٠).. إنني لا أفهم تلك الألغاز التي تحدثني عنها.

قست ملامح ماجد في صرامة حادة، وتطلع إلى رفيقه في جمود وقال:

ـ إن ما قصدته يا عزيزي هو أن تربة هذه الغابات لا تحتوي على ذهب أو ماس، وليس فيها مناجم لتلك الخامات بكل تأكيد، وإلا لكانت حكومة هذه البلاد هي أول من تعلم ذلك، وما باعت لك هذه الأرض بذلك الثمن قط.. ولهذا أقول عن ثقة إنك لم تشتر هذه الأرض لتنقب عن الذهب والماس بل لأجل شيء آخر تود الحصول عليه وغامرت بحياتك لأجله.. ولا بد أن ستيلا تعلم هذا الشيء أيضاً وتريد الحصول عليه مثلك تماماً.. ومن المؤكد أن وسائلها المباشرة في معرفة ذلك الشيء منك قد فشلت، فلجأت إلى الحيلة لكي تصل إلى

الشيء المجهول.. وهذا يفسر مساعدتها لي لكي أصل إليك لأنها واثقة أنني الوحيد الذي سأساعدك للحصول عليه وهو ما جعلها تسهل لنا الفرار في الفجر وتراقبنا بدون شك، لكي نقودها إلى مكان ذلك الشيء.

واضاف في نعومة: أقصد لكي تقودها أنت إلى ذلك الشيء الذي أجهله تماماً يا رقم (٣١٢).. أم تراني قد أخطأت في استنتاجاتي.. حتى برغم تلك النظرات الحائرة الزائفة التي رسمتها فوق وجهك ببراعة.

تطلع عامر إلى ماجد بنظرة جامدة خالية من المشاعر.. ثم لانت ملامحه قليلاً وارتسمت على وجهه ابتسامة صغيرة اتسعت شيئاً فشيئاً، قبل أن ينطلق في ضحكة عالية وماجد يراقبه في هدوء، ثم توقف عامر عن الضحك ومسح عينيه اللتين ترقرقت فيهما الدموع لشدة الضحك وقال: أنت رائع يا رقم (٧٠٠).. ولا يزال عقلك يعمل بنفس الكفاءة وأكثر.. وكنت أثق أن الأمور ستنكشف لك سريعاً، وأنني لن أستطيع التظاهر أمامك أو خداعك طويلاً.

نطق ماجد في صوت بارد عميق قائلاً:

ـ لا أزال أنتظر تفسيراً يا رقم (٣١٢) عن كل ما يحدث حولنا..

ربت عامر على كتف ماجد في ود قائلاً:

ـ أنت على حق في ما استنتجته.. فإنني و ستيلا نسعى لنفس الشيء..

واتسعت عيناه عن آخرهما، حتى صارتا كأنما ينبعث منهما اللهب، وهتف في صوت أجش عميق كأنه خارج من بئر: إنه الكنز يا عزيزي.. كنز الأمازون.. أعظم كنز في التاريخ!

***

كنز الأمازون

ضاقت عينا ماجد بشدة، وردد في دهشة:

ـ كنز الأمازون؟

زادت عينا عامر اتساعاً، وبدا كأنه يرى بعينيه شيئاً خرافياً لم تره عينا إنسان من قبل، وقال في صوت بالغ الإثارة:

ـ إنه كنز لا مثيل له مكون من مئات الأطنان من الذهب وآلاف الماسات الثمينة، وكل الأحجار الكريمة التي تساوي ثروة تقدر بعشرات البلايين من الجنيهات.. إنه أعظم كنز في التاريخ امتلكه انسان.

وصمت عامر لاهثاً وماجد يراقبه صامتاً.. وتلفت رقم (٣١٢) حول مكانه يخشى أن يسمعه شخص ما، وواصل قائلاً بنفس الصوت اللاهث: لقد توارث شعب

الأمازون هذا الكنز على مدار مئات السنين، حتى انتقل إلى والد ستيلا، وعندما أحس بدنو أجله، خشي أن ينهب بعض الخارجين عليه هذا الكنز قبل وصول (ستيلا) إلى الأمازون، فقام بإخفائه في مكان ما داخل الغابات، وقام بقتل كل من ساعده في ذلك من أعوانه، حتى لا يفشي أحدهم السر عن مكان هذا الكنز ويستولي عليه.. ولكن أحد هؤلاء المساعدين تمكن من الهرب في الغابات لينجو بحياته فكان أن لدغته حية على مشارف الغابة، وصادف شخصاً ما وهو في النزع الأخير، وحاول هذا الشخص إنقاذه، ولكن الأمازوني أحس بدنو أجله فأخبر ذلك الشخص بمكان الكنز، وصنع له خريطة تحدد مكانه ثم مات بعدها، وبعد قليل توفي والد ستيلا أيضاً قبل أن يرى ابنته ويخبرها عن مكان هذا الكنز.

مط ماجد شفتيه دون أن تعكس عيناه أي مشاعر وقال: يا لها من قصة كالأساطير. وهكذا لم يعد أحد يمتلك خريطة الكنز.. غير ذلك الشخص المجهول الذي ساعد الأمازوني الهارب، وقد قادته الصدفة الغريبة إليه.

وضاقت عيناه وهو يضيف: دعني أخمن هذا الشخص إنه لا يمكن أن يكون أنت يا عزيزي.. بل هو زامبو أليس كذلك؟

هتف عامر في ضحكة عريضة:

- رائع يا رقم (٧٠٠).. أنت لا يمكن خداعك بأي حال، فهذا هو الاستنتاج الصحيح.. وبالطبع لأن زامبو من أخلص رجالي فقد أخبرني بالسر وخططنا للحصول على الكنز دون أن يعلم به أحد سوانا. ولهذا قمت بشراء أرض ستيلا وقبيلتها متظاهراً بالبحث عن الذهب والماس في مناجمها، لكي يكون لي مبرر لدخول الغابات والتجوال فيها باحثاً عن الكنز الحقيقي.

عقد ماجد ما بين حاجبيه وواصل: والآن دعني أخمن كيف سارت الأمور بعد ذلك، فقد اقتسمت العمل مع زامبو للوصول إلى الكنز، وكانت مهمتك هي الذهاب إلى الغابات للبحث عن الكنز مسترشداً بالخريطة، وزامبو يبقى في انتظاري، لكي يقنعني بدخول الغابة لإنقاذك، إذا تعرضت لأي خطر.. لأنكما كنتما تتوقعان أن ستيلا لن تتركك تبحث عن الكنز في أرضها بحرية.

أومأ عامر برأسه بنعم وهو يلتقط بعض التبغ من شجرة قريبة، ولفه بداخل ورقة تبغ عريضة على شكل سيجار، أشعل مقدمته والتقط منه عدة أنفاس متلذذة، والتفت إلى ماجد باسماً وهو يقول: إن كل ما قلته صحيح تماماً يا عزيزي.. وكأنك كنت حاضراً كل تلك الأشياء بنفسك.

وواصل ماجد حديثه في تقطيب قائلاً: وهكذا يمكنني دون مشقة تفسير سرّ دعوتك لي، وتذكرك لي بعد كل هذه السنين، فقد كنت تخشى أن تقع في أيدي ستيلا فأردت أن أكون قريباً منك لإنقاذك في اللحظة المناسبة فاثنان افضل من واحد كما تقول قواعد اللعبة في عملنا.. وقبل وقوعك في قبضة الأمازونيات دبرت تلك المكالمة لي لكي تعلمني بطريق مباشر بما جرى لك، وتدفعني إلى إنقاذك، وأنت واثق أنك لن تتعرض للموت الفوري قبل وصولي، لأن ستيلا ما كانت لتغامر بقتلك وهي تعرف أنك الوحيد الذي يمتلك خريطة الكنز، ولا شك أنها استنتجت ذلك بعد أن رأت إصرارك على دخولك الغابة وبحثك عن شيء مجهول، لم يكن صعباً أن تستنتج أنه كنز أبيها، ولعلها توصلت إلى تلك المعلومات عن طريق آخر

نجهله.. ومن ثم كان من المستحيل عليها قتلك حتى وإن تظاهرت بذلك وعذبتك بشدة.. ولهذا كان زامبو واثقاً أنني سأتمكن من الوصول إليك حياً.. لأنه كان واثقاً أن ستيلا لن تقتلك أبداً.. وهو الأمر الذي تعجبت منه بدهشة في البداية، إن زامبو واثق أن ستيلا لن تقتلك قبل أن نصل إليك.

التقط عامر نفساً عميقاً من سيجاره وقال باسماً:

ـ ها أنت قد توصلت إلى كل الحقائق يا رقم (٧٠٠) فدعني أهنئك!

وعقد ماجد حاجبيه مواصلاً: دعني أخمن ما فكرت فيه ستيلا أيضاً، فعندما فشلت في إجبارك على الاعتراف بمكان الكنز أو الخريطة، وجاءها من يخبرها أن هناك من يسعى لإنقاذك، خططت لكي أصل إليك حياً وأساعدك على الفرار دون أن ندري أنها ساعدتنا في ذلك بطريق غير مباشر، وهي تأمل أن نقوم بالسعي مرة أخرى وراء الكنز، فتحصل عليه هي دون مشقة إذا ما توصلنا إليه.

أطلق عامر ضحكة قصيرة خشنة وقال: إنني الآن أمتدح نفسي كثيراً يا عزيزي لأني فكرت في الاستعانة بك لتكون

بجواري في هذه المهمة، فقد فسرت لي أموراً كان من الصعب أن أصل إليها وحدي، وإنني اعترف حقيقة أن خلايا مخي ربما يكون قد أصابها بعض الصدأ في السنوات الأخيرة بعد أن اعتزلت العمل السري. ولولاك ما كان يمكنني أن أستنتج كل تلك الأشياء التي قامت بها ستيلا.. وهذا يثبت أنها عدوة خطرة وبارعة الحيلة.. ومن سوء الحظ أن تعليمها في أوروبا زودها بمثل تلك الألاعيب.. ولكن دماء والدها المتوحش، جعلت منها حسناء خطرة جداً، ومتوحشة لا ترحم.. فهي تجمع الشرين معاً.. الدهاء والتوحش!

تطلع ماجد إلى الأشجار الكثيفة حوله، كأنه يحاول اختراق أستارها للوصول إلى مكان ما ثم قال: لو أنني كنت مكان ستيلا، لكان من الطبيعي أن أقول إنها تنتظر منا شيئين.. إما أن نحاول مغادرة الغابة والهرب للنجاة بحياتنا متناسين أمر الكنز للخروج من الغابة مهما كانت الخسارة، فتأمر أتباعها بالقضاء علينا قبل أن نخطو خارج الغابات وهو أمر سهل تماماً.

واصل عامر وعيناه تبرقان بلهب المغامرة: وإما أنها تنتظر منا أن نسعى للبحث عن الكنز، فتتركنا أحياء داخل الغابات حتى

نعثر عليه بالفعل.. وهكذا ترى أن الاحتمال الآخر وحده هو الذي يمنحنا فرصة للبقاء على قيد الحياة.. ولا مفر لنا من اتباعه يا رقم (٧٠٠).

ضاقت عينا ماجد وهو يقول:

-إذن فأنت تنوي مواصلة السعي للبحث عن الكنز برغم كل شيء؟

قال عامر في ثقة:

-إنه أملنا الأخير يا عزيزي.. ولا يملك أحدنا التراجع أبداً.

قال ماجد في بطء وعيناه لا تفصحان عن مشاعره:

-وإذا رفضت؟

أجابه عامر بخبث:

لا أظن أنه سيكون قراراً حكيماً. ويمكننا أن نعقد اتفاقاً كما فعلت مع زامبو، لقد وعدته أن أمنحه نصف الكنز في حالة عثوري عليه.. وسيسعدني أن تحل مكان زامبو وتحصل على نصيبه بعد موته.. فأنا لست بالشخص الطماع!

قال ماجد ساخراً:

- أنت تنسى شيئاً هاماً.. وهو أنك تريد اقتسام شيء.. لا تملكه أصلاً يا عزيزي!

قال عامر في ثقة:

- إن الخريطة معي يا عزيزي.. وبذلك يكون الكنز ملكاً لي.

أجابه ماجد معترضاً:

- لا.. بل هو ملك لستيلا وقبيلتها.

هتف عامر مستنكراً:

- ستيلا؟

وأطلق ضحكة عالية صاخبة كأنه سمع نكتة.. ثم توقف عن الضحك بغتة والتفت إلى ماجد في حدة قائلاً: إن هذه المتوحشة إذا امتلكت هذا الكنز، فإن أول ما ستفعله هو أن تهرب به عائدة إلى «أوروبا» ولن تنال قبيلتها منه ولا أقل القليل، فإنني أعرف هذه الذئبة جيداً، فلولا هذا الذهب ما عادت إلى هذه الغابات التي تكرهها أبداً.. إن هذه المتوحشة تكره كل شيء هنا.. إخوتها الذين قتلتهم بلا رحمة، وشعبها الذي تقتله لأتفه سبب، والرجال الذين تبعد

أي واحد منهم يجرؤ على الاقتراب من أرضها.. وحتى والدها فإنها كانت تكرهه بشدة لأنه اختطف أمها وأجبرها على الزواج منه بعد أن قتل كل عائلتها.. وهذه الكراهية انتقلت إليها من أمها، التي أجبرت على العيش مع رجل بدائي أدخلها وأجبرها على مشاركته العيش في الأحراج.. وقد كانت فرحتها للهروب من ذلك الجحيم بإقناعه بتعليم ابنته في أوروبا، وكان من الطبيعي أن تنقل كراهيتها إلى ابنتها وإذا ما امتلكت ستيلا هذا الكنز، فليس من المستبعد أن تقتل كل قبيلتها وشعب الأمازون، لكي لا يطالبها أي فرد منهم بنصيبه من الكنز.

وحدق عامر في ماجد، الذي عقد حاجبيه في تفكير وتقطيب، وأضاف عامر في غضب لاهث تشوبه النعومة وهكذا ترى يا عزيزي، إن ستيلا لا تستحق هذا الكنز على الإطلاق، وليس من العدالة أن تلمس قطعة واحدة منه.

زم ماجد شفتيه وقال في حسم: ربما كانت ستيلا لا تستحق هذا الكنز ولكن شعبها يستحقه.

سحق عامر سيجاره بقدمه في عنف قائلاً:

ـ وأنا أمتلك الخريطة المؤدية إليه.. وبدوني لن يحصل أحد على شيء.

كان رقم (٣١٢) على حق، وفكر ماجد قليلاً ثم قال له:

ـ حسناً.. فلنعقد اتفاقاً.

تساءل عامر في شك:

ـ وما هو؟

أجابه ماجد في هدوء:

إذا ما عثرنا على الكنز، فستقتسمه مع شعب الأمازون.. ستأخذ أنت الربع لأنك من عثر عليه.. وسيحصل سكان الأمازون على الباقي لأنه المالك الأصلي لهذا الكنز.. وأعتقد أن نصيب الربع من هذا الكنز الضخم، لن تستطيع إنفاقه ولو عشت ألف عام.. أما شعب الأمازون البدائي، فيمكنه بنصيبه تطوير حياته ونقله من عالمه البدائي، إلى مشارف الحضارة.

بدا على عامر التفكير العميق، ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة صغيرة وقال:

ـ إن هذا الاتفاق يبدو مرضياً لي.. ونسبة الربع لا بأس بها..

ولكن هناك طرفاً ثالثاً لم نتحدث بشأنه في هذا الاتفاق.. إنه ستيلا يا عزيزي، وهي لن تقف مكتوفة اليدين وهي ترى الآخرين يستولون على الكنز.

ضاقت عينا ماجد عن آخرهما، وقال في صراحة وقسوة:

- دع أمر هذه المتوحشة الماكرة لي.. وإذا حاولت القيام بأي لعبة أخرى.. فسأريح كل غابات الأمازون من شرها لكي يعود الأمان لهذه الغابات.. ولو كان هذا هو آخر ما سأفعله في حياتي!

هتف عامر في سرور:

- رائع.. أرى أنك لا تزال تحتفظ بمثلك العليا يا عزيزي، أو لم تؤثر فيها شرور هذا العالم وكل من صادفتهم من أشرار ملاعين.. وها قد عادت الأيام الجميلة السابقة مرة أخرى.. أيام المغامرة والخطر فمرحبا بها.. وخاصة إذا كان سيشاركني فيها تلميذي النجيب.

ورمق عامر ماجد في مكر مضيفاً: هل أعجبتك تلك الإجازة التي دعوتك إليها.. إن من كان مثلك لا يمكنه أن يتمتع بأي إجازة يا عزيزي فاشكرني لذلك!

تلاعبت ابتسامة صغيرة على وجه ماجد.. فقد جاءته المغامرة مرة دون توقع.. وكان رقم (٣١٢) على حق.. فما كان لمثله أن يتمتع بإجازة لوقت طويل.

والتقط نفساً عميقاً وقد بدا له الأمر يستحق المخاطرة، ووضع يده فوق كتف رفيقه قائلاً: أنت على حق.. فهيا بنا.

والآن لم يعد هناك ما تنتظر لأجله.. فهيا بنا..

ولكن قبل أن يتحرك الاثنان، طار سهم من مكان ما وارتشق في جذع شجرة مجاورة على مسافة سنتيمترات قليلة من عنق عامر الرشيدي الذي جمدته المفاجأة وتطلع بعينين متسعتين عن آخرهما نحو السهم الذي كان منقوشاً على مؤخرته رسم لامرأة شقراء.. ترتدي جلد النمر، وتطل من عينيها نظرة وحشية!

التقط عامر السهم وتأمله في صمت، ثم تطلع إلى ماجد وتلاقت عيونهما. كان السهم رسالة تحذير من ستيلا دون شك بأنها ترصد حركاتهما وتراقب كل خطواتهما.. وأنهما لن يفلحا في خداعها أبداً.

وتطلع ماجد حوله إلى رؤوس الأشجار.. كأنه يبحث عن عدوه الخفي..

كان كل شيء حوله هادئاً.. وكان هدوءاً خادعاً دون شك.. تماماً كالهدوء الذي يسبق العاصفة!

***

براثن الخطر

صاح عامر الرشيدي في ماجد: هيا بنا نتحرك.. فلا وقت لإضاعته.

وتقدم إلى الأمام وهو يشق طريقه خلال الأغصان المتشابكة بأصابعه العارية التي اصابتها الخدوش..

كان كل ما يملكانه من أسلحة هي السكين التي حصل عليها ماجد قبل فرارهما من المحاربة الأمازونية.

وسار الاثنان وقتاً طويلاً جهة الشرق، وقد بدت كل تفاصيل الغابة التي يقطعانها متشابهة كأنما مرا بها عشرات المرات من قبل فالتفت ماجد إلى عامر متسائلاً: هل أنت واثق أننا نسير في الاتجاه الصحيح في هذه المتاهة من الأشجار والمستنقعات؟

أجابه عامر مبتسماً: ثق من ذلك فإنني أعرف طريقي جيداً داخل الغابة الملعونة، أما نهاية رحلتنا فستكون عند جبل الشيطان وليس قبل ذلك.

تساءل ماجد في دهشة:

ـ جبل الشيطان؟

أومأ عامر برأسه والتمعت عيناه وهو يقول:

ـ إنه الجبل الذي أخفى والد ستيلا كنز الأمازون بداخله.

ضاقت عينا ماجد في شك وتساءل مرة أخرى:

ـ وهل لتلك التسمية سبب خاص؟

بانت ابتسامة ماكرة على وجه عامر وقال:

ـ نعم.. فهناك أساطير أمازونية قديمة تقول إن روح الشيطان تسكن هذا الجبل، الذي تشبه كهوفه متاهة عجيبة يستحيل أن يدخلها إنسان ويتمكن من مغادرتها مرة أخرى إلا إذا كان يعرف طريقه جيداً.. حيث يترصده الموت داخل هذا الجبل.

ضاقت عينا ماجد على أشدهما وهو يقول:

ـ وتلك الخريطة في حوزتك تبين مكان الكنز داخل جبل الشيطان؟

هتف عامر في مرح كأنه يستمتع بالرد:

ـ هذا صحيح تماماً.. ولهذا فلا مفر لنا من دخول هذا الجبل، ولو كانت نصف شياطين العالم تسكنه.

بان على وجه ماجد شك قليل وقال لرفيقه:

ـ من العجيب أن ستيلا لم تتمكن من الحصول على الخريطة وأنت في قبضتها.. فأين أخفيتها من هذه الذئبة؟

أشار عامر إلى رأسه في خبث مجيباً: إنها هنا.

وكانت إشارته تعني أنه يحتفظ بالخريطة في عقله، فهز ماجد رأسه صامتاً وقد أدرك الإجابة دون عناء.. ومرت لحظات قليلة قبل أن يقول وهو يتطلع إلى رؤوس الأشجار حوله: إن محاربات الأمازون يتبعننا دون أن نراهن. ونحن في حاجة الى تضليلهن لنتمكن من الوصول إلى هدفنا وحدنا، فهل لديك خطة، معينة لذلك؟

قال عامر دون اهتمام: إنني أترك لك ذلك فهيا أرنا مهارتك!

فتأمل ماجد رفيقه بدهشة، وقد بدا من لهجة إجابته كطفل يتمتع بلعبة ماسية دون أن يخالجه أي خوف..

وقبل أن ينطق ماجد بالرد، شاهد ما جعل عينيه تتسعان عن آخرهما، وصاح بأعلى صوته وفجأة: حاذر يا عامر، ولكن صيحته جاءت متأخرة..

بل متأخرة جداً في الواقع. ففي أقل من ثانية انقض ثعبان ضخم من فصيلة الكوبرا على عامر الرشيدي، والتف حوله وراح يضغط عليه بكل قوته.. فجحظت عينا عامر وأصابه الخرس لهول المفاجأة، فلم يقدر حتى على الصراخ، وبدا كتمثال حي ناطق لشدة خوفه.

جمد ماجد مكانه.. كانت المفاجأة أسرع من قدرته على العمل والحركة التي اشتهر بهما.

ولكنه تنبه بسرعة.. فلم يكن هناك وقت لإضاعته.. وكان لا بد من عمل ما لتحرير رفيقه من براثن الخطر والموت التي استقرت على بعد سنتيمترات من عنقه العاري.

كان طول الثعبان لا يقل عن خمسة أمتار وقطره لا يقل عن ثلاثين سنتيمتر، وقد راح السم يسيل من أنيابه المخيفة في مشهد رهيب.

وكانت أقل لدغة من الحية كفيلة بقتل ضحيتها خلال خمس ثوان على الأكثر.. وكان ماجد واثقاً أنه إذا أثار الكوبرا بحركة طائشة فإن ذلك كفيل بأن يكون الرد لدغة لعامر في عنقه العاري تقتله قبل أن يشكو من الألم!

وهمس عامر بصوت شاحب وقد حكى وجهه لون وجوه الموتى: أنقذني يا رقم (٧٠٠) فهذا الثعبان يعتصرني ويوشك على تحطيم عظام صدري خلال ثوان، ولم تعد بي قدرة على المقاومة.

وأدرك ماجد أن عليه العمل سريعاً وسريعاً جداً.. وكان يدرك أيضاً أن عليه عدم استثارة الحية المخيفة، وفي الواقع إنه كان في حاجة لأن يقوم بأكثر من عمل معاً وفي لحظة واحدة، وبترتيب لا يحتمل أدنى خطأ. وفي بطء ودون جلبة تحركت أصابع يده لتجذب غصناً قريباً وتثنيه بقوة، وأطلق ماجد الغصن الذي استعاد استقامته بقوة

مصدراً صوتاً كالفحيح على مسافة قليلة من الكوبرا المخيفة.

والتفتت الحية نحو مصدر الصوت كأنها خشيت أن يكون ذلك الفحيح لحية منافسة فتأهبت لقتالها وعيناها تومضان بلهب حارق، وان ابتعدت بأنيابها القاتلة عن عنق عامر الرشيدي لتواجه عدوها الجديد.

وفي اللحظة التالية أو ربما في اللحظة ذاتها قبل أن تتنبه الحية للحقيقة امتدت أصابع ماجد إلى سكينه في حزامه والتقطها بسرعة البرق وطوح بها في دقة ومهارة بالغتين نحو هدف محدد في ظهر حية الكوبرا.

وأخذت السكين طريقها وارتشقت في ظهر الحية أسفل رأسها، بالضبط مكان الأعصاب التي تتحكم في حركة الرأس وإفراز السم والرؤية، فمزقتها تماماً!

وأطلقت الحية فحيحاً متألماً وترنح رأسها وقد فقدت القدرة في السيطرة على جسمها بعد أن تعطلت كل حواسها بتمزق أعصابها.

وكانت تلك هي اللحظة التي ينتظرها ماجد فاندفع نحو رأس الحية وتشبث بها وهو يطبق على فكها بأصابعه ليغلقه فيأمن شر لدغات أنيابها السامة.. وأخذ يزيح جسد الحية الضخم عن بدن عامر الذي تصلبت فوقه.

كان رأسها بلا حياة تقريباً ولا تكاد تشعر بما يدور حولها.

ولكن الجسد كان لا يزال يقاوم في استماتة وصلابة وقوة، فهو جريح..

ولكن ماجد راح ينهال على الحية بسكينه في أكثر من مكان، فتراخت عضلاتها بعد أن مزقها الألم وتهاوت على الأرض وهي تنتفض كما لو كانت تعاني من ارتعاشة الموت وسكراته فتحرر أسيرها أخيراً بمعجزة.

لم يصدق عامر ما حدث.. كان إلى لحظة واحدة يحسب نفسه من الهالكين.. وكان يظن أنه من المستحيل على ماجد إنقاذه ولو كان يمتلك قنبلة ومدفعاً رشاشاً في يده. وأفاق من ذهوله صارخاً: لقد فعلتها يا رقم (٧٠٠) وأثبت أنك رجل المهام الصعبة حقاً.

واندفع إلى ماجد معانقاً وعيناه مليئتان بالدموع وهو يقول: إنني مدين لك بحياتي. ربت ماجد فوق كتف أستاذه قائلاً: أنا أيضاً أدين لك بأشياء كثيرة يا سيدي.. لولاها ما نجا واحد منا نحن الاثنين، فوفّر ثناءك!

تأمل عامر الحية التي أخذت تعاني سكرات الموت قائلاً: ولكنك لا تدين لي بتعلم مثل تلك الأشياء الماهرة، بالتعامل مع مثل تلك الكوبرا، فأين اكتسبت هذه المهارات البارعة؟

رفع ماجد كتفيه في بساطة مجيباً أستاذه:

-على الإنسان أن يتعلم الكثير خلال رحلة حياته.. إن كان يرغب في أن يعيش طويلاً..

وأضاف مبتسماً: وأنا أرغب في العيش طويلاً.. وأتمنى ذلك لأصدقائي المقربين.

واستأنف السير مع صاحبه مرة أخرى.. وقد عاد عامر إلى تدخين سيجار آخر من تبغ الأشجار صانعاً غابة من الدخان الكثيف فوق رأسه، فراقبه ماجد ضاحكاً وقال: إنك بهذا الدخان تبدو كما لو كنت تتعمد إرشاد هؤلاء الأمازونيات إلى مكاننا في يسر.

أجابه عامر ضاحكاً: هذه وسيلة أسهل من محاولتهم رشق السهام الطائشة في كل مكان، حتى إذا ما أصابتنا سهامهم وسمعوا صراخنا اكتشفوا مكاننا.

ابتسم ماجد لدعابة رقم (٣١٢) وواصل الاثنان السير مسافة.. وبعد وقتٍ ظهر نهر الأمازون أمامهما يقطع عليهما الطريق بجريانه السريع ومنعطفاته القوية، وقد توسطته عشرات التماسيح التي راحت تسبح في قلبه باحثة عن فريسة يلقيها سوء الحظ في طريقها.. أو راحت تراقب الطيور القريبة على الشاطئ وتتحين أي فرصة لالتهامها في مفاجأة غادرة!

وقال عامر حائراً: إننا في حاجة إلى عبور النهر قبل الليل والوصول إلى الضفة الأخرى.

تأمل ماجد التماسيح الراقدة على ضفة النهر وقال: لا أظن أن عبور النهر سباحة فكرة صائبة، إلا إذا كنا نفكر في الانتحار.

تلفت عامر حوله في حيلة مطلقاً عاصفة من دخان سيجاره وهو يقول:

وما العمل الآن . . كيف سنعبر هذا النهر؟

فتأمله ماجد باسماً ثم قال :

ـ يبدو أنك فقدت الكثير من مهاراتك يا رقم (٣١٢) وإلا ما تساءلت عن العمل، في حين أنه من الميسور عمل أشياء كثيرة. تؤمن لنا عبور النهر دون مشقة.

والتقط بضعة جذوع أشجار قصيرة حوله راح يشذبها بسكينه الصغيرة، ويربط بينها بألياف الأشجار، ثم أخذ يسد ما بين الأغصان بأوراق الأشجار حتى اكتمل صنع طوف كبير خلال ساعة واحدة فقط، وقال ماجد باسماً لرفيقه : إن (اليخت) الخاص بنا ينتظر تشريفك له لعبور النهر.

تأمل عامر الطوف الكبير وهتف بإعجاب :

ـ رائع . . إنك تذكرني بأمجادي القديمة يا رقم (٧٠٠)، فمرحبا بتذكر الماضي السعيد . . والآن دع لي مهمة إنزال هذا اليخت على الشاطئ!

وجر الطوف إلى شاطئ النهر بمشقة، ثم التفت إلى الخلف ولكنه لم يعثر على ماجد، فاتسعت عيناه في دهشة وهو

يقول: أين اختفى رقم (٧٠٠)، فهل يمكن أن تكون محاربات الأمازون قد اختطفته مرة أخرى؟

وبعد أقل من دقيقة شاهده يعود حاملاً ظبياً جريحاً فوق كتفه، فهتف عامر في لهجة مرحة: رائع يا رقم (٧٠٠)، فأنت لم تنسَ جلب طعام العشاء معك.. ولكن كيف عرفت نوع طعامي المفضل؟

ولكن ماجد لم ينطق بشيء.. وقفز إلى الطوف ووضع الظبي الجريح فوقه، وتبعه عامر الرشيدي إلى الطوف الذي دفعته المياه الجارية إلى قلب النهر.. وماجد يوجهه بغصن طويل كمجداف راح يضرب به وجه الماء.. فراقبته التماسيح في حذر، وعندما دفع الفضول أحدها للاقتراب، أقنعته ضربة قاسية فوق رأسه من مجداف ماجد بفضيلة عدم دس فكه فيما لا يعنيه!

واقترب الشاطئ من الناحية الأخرى.. ولكن عامر كان ينظر في اتجاه مخالف وصاح فجأة: ها قد ظهرت محاربات الأمازون اللعينات.. إنهن يتبعننا في عدد من الزوارق على مسافة لكي لا نراهن وكأن هناك بوصلة ترشدهن إلى اتجاهنا.

أجابه ماجد ساخراً: إن سيجارك كفيل بكشفنا حتى للآخرين الذين يعيشون في القارات المجاورة، فلماذا تندهش من ظهور هؤلاء الأمازونيات؟

وتأمل الزوارق المطاردة لهما والتي لا يقل عددها عن عشرة وهتف في مرح:

- رائع.. هذا ما كنت أنتظره.. لقد منحونا الفرصة التي نطلبها.

وفي هدوء التقط ماجد الظبي الجريح وألقاه في قلب النهر.. فصاح عامر محتجاً: ماذا فعلت.. هل صدت عشاءنا لتلقيه في النهر؟

ولكنه وفي اللحظة التالية أدرك غرض ماجد.. عندما شاهد مئات التماسيح التي يعمر بها النهر، وقد اشتمت رائحة الدماء في مياه النهر، فاندفعت كالسهام القاتلة نحو الضحية المسكينة لتمزقها بفكوكها وأنيابها الحادة وهي تتعارك مع بعضها البعض في قتال مخيف.

وتنبهت تماسيح الشاطئ أيضاً لما يدور في قلب النهر،

عندما شاهدت الوليمة والمشاجرة حولها فقفزت إلى قلب المياه واندفعت لتشارك فيها بنصيبها.

واضطرب سطح النهر وراح يفور.. وقد تحول إلى ساحة قتال لعشرات الأمتار أوشكت أن تسد مجراه.

وكانت زوارق محاربات الأمازون قد اقتربت كثيراً من المعركة الوحشية قبل أن تتبين راكبات الزوارق حقيقة ما يحدث، وأدركت الأمازونيات متأخراً، الخطر الذي يتعرضن له، فصاحت قائدتهن: أسرعن بتغيير اتجاه الزوارق لكي لا نصطدم بهذه التماسيح.

ولكن التحذير جاء متأخراً جداً.

ولم يسمح تيار النهر السريع للزوارق بالدوران الحاد.. بل لعله ساهم في زيادة اندفاع الزوارق نحو هدفها المحتوم بأكثر مما كان مقدراً.. فاصطدمت الزوارق بالتماسيح في عنف..

واستدارت التماسيح الغاضبة إلى الخلف فشاهدت عدوها الجديد، فاندفعت تهاجم الزوارق في شراسة وتلطمها بذيولها الصلبة فتشطرها وتمزقها..

وصرخت محاربات الأمازون يتساقطن كالفراش المحترق في قلب النهر حيث كانت الفكوك المتوحشة بانتظارهن.. ولا مهرب منها على الإطلاق.

وامتلأ سطح النهر بالصرخات والدماء وطحن العظام..

ومن مكانهما على الشاطئ راقب ماجد وعامر ما يجري فوق سطح النهر، وقال ماجد في أسف إنني لم أرغب في ارتكاب هذه المذبحة بحق.. ولكن لم يكن أمامنا غيرها للتخلص من مطارداتنا القاسيات.

نفث عامر دخان سيجاره في تلذذ وهو يقول: لقد قمت بعمل ممتاز يا رقم (٧٠٠)، فهؤلاء المتوحشات ارتكبن عشرات المذابح وقتلن آلاف الأبرياء دون شفقة من قبل وهن يستحققن هذه النهاية على أي حال، فوفّر مشاعرك الفوارة لموقف آخر!

وارتسمت ابتسامة قاسية ساخرة إلى أقصى حد فوق وجهه، وشرد بصره بعيداً وهو يضيف: إنني أحاول تخيل منظر ستيلا عندما تبلغها أنباء ما حدث.

عقد ماجد ما بين حاجبيه في صرامة، وقال بصوت بارد:

- هيا.. ولا وقت أمامنا للتخيل الآن فعلينا أن نسرع بالابتعاد، قبل أن تلحق بنا مجموعة أخرى من قوات ستيلا، إذا كنا نرغب حقاً في الاختفاء عن عيون محارباتها.

وأسرع الاثنان باختراق حدود الغابة على الجانب الآخر وقد تقدم عامر على ماجد بعدة خطوات.

كان الليل قد سقّط على المكان وأحاله إلى ظلام مطبق فهتف عامر: حاذر يا رقم (٧٠٠) بسبب الظلام، ولا تبتعد عني فإنني خبير بدروب هذه الغابات أكثر منك وعليك أن تنظر أين تضع قدميك و..

وبتر عامر عبارته وهو يطلق صرخة عالية.. فتوقف ماجد مكانه منصتاً لا يدري ما جرى لرفيقه.. كان الظلام كثيفاً تستحيل الرؤية خلاله بالرغم من القمر المكتمل في قلب السماء.. ولكن الأشجار المتكاثفة التي تعانقت أغصانها وهاماتها منعت ضوءه من اختراق الغابة..

ووضع ماجد كفيه حول فمه صائحاً بأعلى صوته: عامر.. أين أنت، ماذا حدث لك؟

وجاءه صوت عامر من مكان ما إلى اليسار في ألم وخفوت:

إنني هنا.. أنقذني يا ماجد.

والتفت ماجد إلى مكان الصوت..

وعلى ضوء بقعة صغيرة من الضوء تسللت من بين أشجار الغابة شاهد رجل المهام الصعبة رفيقه وقد سقط وسط بركة متحركة أخذ يغوص فيها ببطء، حتى وصلت الرمال إلى كتفيه وأوشكت على ابتلاعه، كما لو كانت وحشاً خرافياً لا قبل للإنسان بمواجهته.

وقبل أن يفكر ماجد في العمل لإنقاذ عامر الرشيدي، تصاعد صوت هادر من قلب الغابة في الضفة الأخرى للنهر ليشق سكون الليل ويضفي عليه مزيداً من الرهبة والوحشية.

كان صوت دقات الطبول وقد راحت تتعالى في جحيم الليل كأنها صرخات الشياطين، وقد راح صداها يتردد في كل جزء بالغابة.. وكأنما تحالفت كل الشياطين في الغابة ضد ماجد وعامر في نفس اللحظة، لكي تضع نهاية لهما بأسرع ما يمكن.

* * *

مقاتلون .. من نوع خاص

أخذت دقات الطبول تتعالى وتنتشر وهي تنتقل من مكان لآخر في سرعة محمومة .. كشيطان راقص يحمل نذير الموت والدمار في كل مكان يحل فيه .

ووصلت الرسالة إلى المرسل إليه أخيراً ووقفت ستيلا تنصت لما تقول دقات الطبول .. ثم اتسعت عيناها شيئاً فشيئاً وأصابها غضب حارق لما جاءت به الأنباء .

وعندما انتهى قرع الطبول صرخت ستيلا في صوت وحشي : هذا الشيطان ..

لقد أفسد كل خططها وقتل كل المحاربات اللواتي أرسلتهن لمراقبته وزميله . وجعلهن طعاماً لتماسيح النهر بحيلة بارعة ..

وتحول صوتها إلى ما يشبه الفحيح وهي تواصل : لا بد انهما اكتشفا أنني أطاردهما عن بعد ، وإلا ما فكرا في مثل هذه

الخدعة واستعدا لها مبكراً.. ولكني سأعرف كيف أنتقم منهما.. أقسم أن أذيقهن من العذاب والألم ما لم يحلما به أبداً، ولن يكتشفا خدعتي الكبرى إلا في النهاية.

والتفتت إلى بعض محارباتها صارخة: أسرعن بمطاردة هذين الشيطانين.. واقبضن عليهما أحياء مرة أخرى ولو اضطررتن لرشق ألف سهم في جسديهما لمنعهما من مواصلة الهرب.. فلم يعد الخداع يفيد.. وسأعرف كيف أصل إلى الكنز رغماً عنهما.

أما من نجا من مذبحة التماسيح من مقاتلاتي، فلا يستحق غير الموت، لأنهن لم يتنبهن إلى خدعة هذا الشيطان مبكراً، فأنا لا أحب للفاشلات أن يعشن طويلاً، حتى لا يكررن أخطاءهن!

كانت أوامر ستيلا صارمة لا تقبل جدلاً أو نقاشاً..

وفي الحال اندفعت مقاتلاتها إلى أسلحتهن لتنفيذ أوامرها دون إبطاء.

وتعالى دق الطبول ليشمل كل أرجاء الغابة تحمل الأوامر الجديدة من الملكة إلى محارباتها في كل أنحاء الغابة..

وأطلقت ستيلا ضحكة وحشية وهي تنصت إلى دقات الطبول كأنها موسيقى ساخرة.. فقد كانت واثقة إنه يستحيل على طريدتيها الهرب في الغابات مهما كانت براعتهما.. فهي الأقوى في غاباتها.

كان سقوط طريدتيها في قبضتها أمراً محتماً.. وكانت المسألة.. مسألة وقت.. مجرد ساعات قليلة فقط قبل أن تبدأ انتقامها الدامي.

* * *

شاهد ماجد رفيقه وهو يغوص في قلب الرمال المتحركة ويوشك أن يختفي فيها، وكلما حاول المقاومة غاص أكثر.. وكان من المستحيل على ماجد أن يقفز إلى قلب بركة الرمال لإنقاذ رفيقه فصاح به محذراً: توقف عن الحركة يا رقم (٣١٢) فإنها لن تفيدك بشيء.

فتعلق بصر عامر الرشيدي بماجد وقد تصلب مكانه وراح يغوص في قلب الرمال المتحركة، كما لو كانت قوة خفية تجذبه

لأسفل في بطء قاتل.. مخيف. كان ماجد في حاجة إلى حبل طويل لإنقاذ رفيقه، ولكن..

لم يكن هناك إلى الجوار أي حبل يمكنه استخدامه.. وكان تضفير حبل من لحاء الأشجار يستغرق وقتاً.. في حين كان الفاصل بين الحياة والموت بالنسبة لعامر الرشيدي مجرد ثوانٍ قليلة فقط..

وتطلع ماجد حوله وعيناه كالصقر تمسحان كل التفاصيل محاولاً الاستفادة من أي شيء حوله.

كانوا يطلقون عليه لقب رجل المهام الصعبة.. وكان عليه أن يثبت ذلك حقاً في موقف لا يحتمل أقل فشل..

ووقع بصره على جذع شجرة تميل على حافة بركة الرمال المتحركة ويعلو أحد أغصانها القوية مكان عامر بعدة أمتار.. فجرت عيناه فوق الشجرة وقد رأى فيها الأمل الأخير لإنقاذ رفيقه.

وفكر ماجد بسرعة البرق لو أنه تمكن من ثني الغصن القوي لأسفل لكي يتشبث به عامر، لأمكنه إنقاذه عندما يستقيم

الغصن عائداً إلى حالته الطبيعية، فيرفع رقم (٣١٢) من قلب بركة الموت.

وفي الحال شرع رجل المهام الصعبة في العمل، وقفز نحو الشجرة القريبة وأخذ يتسلقها بسرعة ومهارة الفهد نحو الغصن المنشود..

وكان عامر الرشيدي يوشك على الغوص تماماً في بركة الرمال المتحركة التي وصلت إلى رقبته وصاح بصوت يائس: أنقذني يا رقم (٧٠٠).

وصاح ماجد فيه بكل قوته: تشبث بالأمل ثواني قليلة فقط يا عامر.

ووصل ماجد إلى مكان الغصن.. وحاول زحزحته من مكانه وثنيه لأسفل. ولكن، كان الغصن قاسياً يستحيل زحزحته لأسفل. فانهال ماجد بسكينه على مكان اتصال الغصن بجذع الشجرة ليقلل من ثباته في أحد أركانه، فتطاير لحاء الغصن وجزء من أخشابه لإضعاف مقاومته.. واستغرق ذلك ثواني قليلة جداً.. من ماجد الذي تأرجح بعدها فوق الغصن وهو يجذبه لأسفل بكل قوته..

وانثنى الغصن قليلاً فتعلق به ماجد من أسفل وأخذ يجذبه بكل قوته.. فانثنى الغصن نحو سطح البركة ببطء شديد وأخشابه تطقطق قليلاً.

وراقب عامر ما يقوم به ماجد على مسافة قريبة منه.. وأدرك غرض رفيقه.. ولكنه كان على يقين أن ذلك التصرف من ماجد جاء متأخراً تماماً.. فقد غطته بركة الرمال وغاص رأسه فيها، وغطت عينيه فلم يعد يرى شيئاً.. فكتم أنفاسه لشدة جذعه وأدرك أنها النهاية.. وإن ظلت يداه معلقتين لأعلى كأنهما لا تزالان تواصلان رفضهما للموقف اليائس في محاولة أخيرة للنجاة.

وراحت اليدان تغوصان أيضاً لأسفل.. ولم يعد باقياً فوق سطح البركة غير الكفين.. وفجأة لامس الكفان شيئاً صلباً..

كان هو الغصن المنثني بقوة، وأدرك عامر أن ماجد نجح في مهمته أخيراً.. وأدرك أن ماجد يستحثه للقبض على الغصن، وإن لم يصل صوته إليه وهو غارق في بركة الرمال المتحركة..

وجعله ذلك يستعيد ما تبقى له من قوة وأمل.. وأدرك أن أمر نجاته بات مرهوناً به..

فتشبثت أصابعه بالغصن القوي بكل ما تبقى له من رغبة في الحياة وقد كادت أنفاسه تتوقف ويموت مختنقاً لقلة الهواء في رئتيه.

وعندما تأكد ماجد من تشبث عامر بالغصن القوي، قفز من مكانه، فاستعاد الغصن استقامته بقوة جاذباً عامر المتشبث به، فدفعه بقوة لأعلى في عنف.. ووجد رقم (٣١٢) نفسه يطير في الهواء بقوة، وسقط على مسافة من حافة البركة وهو يتأوه من الألم.

وأسرع ماجد نحوه وقد غشاه فرح عميق، وهتف في عامر وهو ينحني فوقه: لعل طيرانك كان موفقاً يا رقم (٣١٢).

أجابه عامر وهو يغالب آلام السقطة: كان الطيران موفقاً، ولكن الهبوط لم يكن مريحاً!

وعانق ماجد بقوة وقد تبللت عيناه بالدموع وهمس يقول له: لقد صرت مديناً لك بحياتي مرتين..

ولا أدري كيف أشكرك يا عزيزي أو أرد لك هذا الصنيع.

أغلق ماجد أنفه بسبب رائحة عامر وقال له مداعباً:

- يمكنك أن تفعل ذلك ولكن بعد أن تغتسل جيداً من آثار تلك الرمال اللزجة.

مسح عامر الرمال المتجهمة فوق عينيه وتأمل نفسه.. كان يبدو كشبح مغطى بالأوحال فانطلق ضاحكاً..

كانت ضحكته أشبه بالبكاء كأنه لا يصدق أنه نجا.

وقفز إلى بركة مياه قريبة بملابسه فغاص فيها تماماً، ثم غادرها وهو يقطر ماء.. وهمس كأنه يحدث نفسه في ألم وحسرة: لقد صرت قرداً عجوزاً بحق لا يقدر على مساعدة نفسه، ومن يدري ماذا كان يمكن أن يحدث لي لو لم يكن رقم (٧٠٠) إلى جواري.. من المؤكد أن أحداً ما كان سيستطيع العثور على جثتي أبداً!

راقب ماجد رفيقه باسماً وقال له: دعك من هذه الأفكار.. إننا في حاجة إلى الراحة قليلاً قبل أن نستعيد نشاطنا في الصباح المبكر.

عامر: لا.. إننا لن نستطيع البقاء مكاننا لحظة واحدة فلو أنصتَّ لسمعت صوت دقات الطبول وقد علت ثانية، ولا بد أن ستيلا بلغها ما حدث لمحارباتها في النهر، فأصدرت أوامرها

للأخريات بمطاردتنا أو القبض علينا.. وستسعى بقية المحاربات للقبض علينا والانتقام منا.. وعلينا أن نسبقهن بمسافة كبيرة حتى نأمن شرهن.

قال ماجد معترضاً: ولكنك في حاجة إلى الراحة بعد كل ما حدث لك.

ولكن عامر هب واقفاً في إصرار قائلاً:

-بل إنني في أشد حالات النشاط وسأتقدمك لأثبت لك ذلك، وإنني أكثر منك لياقة.

وما كاد عامر الرشيدي يتقدم خطوتين، حتى تهاوى فوق الأرض غير قادر على الحركة، وهمس يقول لماجد في اعتذار: أعتقد أنني في حاجة إلى بعض الراحة بالفعل، فقد خارت قواي حتى أنني لا أستطيع هش ذبابة واقفة فوق طرف أنفي! غمر نور الصباح الغابة. وراقب ماجد رفيقه الراقد إلى جواره دون حراك وهو يصدر غطيطاً عميقاً..

تأمل ماجد رفيقه في صمت وهو ساهر لحراسته يغالب نومه تحسباً للمفاجآت.. كانت ثمة أشياء كثيرة قد تبدلت في رقم (٣١٢)..

لم يكن بمثل ذلك الضعف والخمول من قبل.. ولا كان نهماً للمال بمثل هذا الشكل، ومستعداً للمخاطرة بحياته الآجلة.

كان عامر الرشيدي على استعداد لأن يخسر كل أموال العالم في سبيل أن يصد خطراً عن وطنه الغالي أو ينجح في مهمة ترفع رأس بلاده.. ولطالما احتقر المال ولم يضعف أمامه أبداً.

فما الذي غيره هكذا.. هل لأنه صار بلا هدف.. بلا قضية؟

هل يمكن أن يدفع الاعتزال الإنسان لنسيان كل ماضيه، ليشق لنفسه طريقاً جديداً مختلفاً؟

وفكر ماجد في ألم وضيق.. هل يمكن أن يحدث له نفس الشيء إذا ما اعتزل يوماً ما؟

كان سؤالاً بلا إجابة، وكانت الأحداث فقط كفيلة بوضع إجابته. وأفاق على صوت صديقه وهو يتثاءب بقوة ويدير عينيه في المكان، واعتدل عامر الرشيدي في رقدته قائلاً: لقد

نعمت بنوم طيب، واستعدت نشاطي، وأعتقد أنني صرت قادراً على هزيمة فيل لو تصارعنا معاً.

والتقط ثمرة جوز هند قريبة حطمها وارتوى من لبنها واقتسم قلبها مع ماجد.. وسرعان ما كان الاثنان يبدآن مسيرتهما مرة أخرى وهما يلتهمان ثمرة أخرى سدت جوعهما وعطشهما.

واستمرا في السير حتى قرابة الظهر وتوقف عامر وهو يجفف عرقه قائلاً: إننا في حاجة إلى بعض الراحة قبل عبور أرض الغوريلات.

ردد ماجد بدهشة وتساؤل: أرض الغوريلات؟

أومأ عامر برأسه بنعم، وراح يتطلع حوله ببعض القلق كأنه يخشى من خطر ما وقال: هذه الأرض عبارة عن مساحة كبيرة من الغابات المكشوفة تغطّيها الغوريلات ولا تسمح لإنسان بعبورها.

تساءل ماجد بقلق:

ـ وكيف سنعبرها إذن؟

أشار عامر إلى شجرة قريبة يسيل من أسفل أغصانها سائل أصفر داكن اللون وقال: إن هذا السائل سيؤمن لنا عبور هذه الأرض في أمان إذا ما قمنا بدهان أنفسنا به، لأن الغوريلات تكره رائحة هذا السائل وتبتعد عنها لمسافة.

ضاقت عينا ماجد وفي حذر قال:

- ولكن محاربات الأمازون قد يفعلن نفس الشيء ليلحقن بنا ويجتزن أرض الغوريلات.

وفجأة تعالت جلبة من الخلف، وظهرت أعداد كبيرة من محاربات الأمازون وهن يشققن الغابة صارخات بصيحات الانتقام، فقال عامر: إن ذكر سيرة المحاربات قد أتى بهن، ويبدو لي من طريقتهن في الصراخ وإعلان أنفسهن أنهن تلقين أوامر بالقبض علينا بأي ثمن.. وعلينا أن نسرع بدهن أنفسنا بذلك السائل لعبور أرض الغوريلات.

ماجد: ولكن الأمازونيات قد يفعلن نفس الشيء.

أجابه عامر وهو يغطي وجهه وذراعيه بالسائل الكريه الرائحة:

- لن يفيدهن ذلك بشيء فثق من ذلك وافعل مثلي.

وأخذ الاثنان يقومان بدهان الأجزاء الظاهرة منهما بالسائل ثم اندفعا يعدوان بكل سرعتهما إلى حدود أرض الغوريلات. وعلى مسافة قريبة منهما اندفعت المئات من مقاتلات ستيلا خلفهما، لا يفصل الفريقين عن بعضهما البعض غير مائة متر فقط، وقد استعدت محاربات الأمازون لاستخدام أقواسهن وسهامهن لإنهاء المطاردة.

وتكشف لماجد نهاية الغابة التي كمنت عشرات الغوريلات بين أغصان أشجارها المثقلة بثمار جوز الهند، فظهرت خلف هذه الأشجار أرض متسعة بها مئات الغوريلات التي رقدت في تكاسل.. وما أن اشتمت إحداها رائحة ماجد وعامر اللذين دهنا نفسيهما بها حتى صاحت في غضب وانطلقت هاربة.

وتوقف عامر وهو ينظر إلى الخلف محاذراً فسأله ماجد: ما الذي تفعله؟

أجابه عامر وهو يلتقط ثمرة جوز هند من الأرض وعيناه لا تغفلان عن محاربات ستيلا: إنني أنتظر اللحظة المناسبة لكي أعطي جيشي اشارة البدء بالقتال. لم يفهم ماجد شيئاً مما يقوله رفيقه الذي انتظر حتى صارت محاربات الأمازون أسفل

صفوف أشجار جوز الهند على مسافة أقل من خمسين متراً منه، ثم طوح بثمرة جوز الهند في قبضته نحو هدف معين فوق رؤوس أقرب أشجار جوز الهند إليه وهو يتحاشى رشقة سهم أوشكت أن تستقر في عنقه!

وأصابت ثمرة جوز الهند هدفها بثقة.. فشجت رأس إحدى الغوريلات بعد أن أصابته في مباغتة قاسية!

وجن جنون الغوريلا فأطلقت صراخاً حاداً، والتقطت عدداً من ثمار جوز الهند حولها وتعاملت به بالطريقة المناسبة لرد الاعتداء بإلقائها إلى أسفل.. على العدو الوحيد الذي لمحت أفراده بالعشرات أسفل الأشجار..

محاربات الأمازون!!

وانتقلت العدوى خلال ثانية واحدة إلى بقية الغوريلات التي أطلقت صراخها مشاركة رفيقتها غضبها ثم التقطت بدورها كل ما طالته أيديها من ثمار وراحت تقذفها نحو نفس الهدف في دقة محكمة ورشقات مؤلمة..

وصرخت محاربات الأمازون والثمار الصلبة القاسية تصبيهن وتدميهن وتنهال بالألوف من كل اتجاه، بحيث استحال صدها

أو الوقوف في وجهها.. فتعالت صيحاتهن المتألمة، وتشتتت صفوفهن، وأسرعن هاربات في كل اتجاه والغوريلات تطاردهن بقذفات محكمة من قنابلهن الخاصة.

راقب ماجد المعركة في دهشة لا تخلو من الإعجاب بما فعله رفيقه، وقال عامر الرشيدي ضاحكاً: أرأيت براعة مقاتلي جيشي الخاص.. إنهم يفعلون ذلك دون تدريب أو تقاضي مهايا ورواتب!

وأضاف ببعض الحزن: إنها حيلة صغيرة تعلمتها من زامبو. الذي أدين له بأشياء كثيرة تعلمتها من هذه الغابات.

واستعاد صوته خشونته وأضاف لماجد: والآن هيا فلنسرع بعبور هذه الأرض فلن تجرؤ الأمازونيات على مطاردتنا فيها، وخاصة أن تلك الغوريلات لن تتوقف عن معركتها الخاصة ضدها قبل ساعات، وستبقى ساهرة فوق الأشجار لكي لا تسمح للأمازونيات بالاقتراب منها مرة أخرى.

ربت ماجد على كتف رفيقه ضاحكاً وقال: إنك لا تزال تحتفظ ببعض مفاجآتك يا عزيزي.. وقد أثبتت نجاحها وإنني أعترف بذلك.

التمعت ابتسامة ماكرة على وجه عامر وقال: إنك لم تر غير بعضها فقط يا عزيزي، فما زلت أحتفظ بالكثير منها أخفيه في جعبتي للوقت المناسب.

وسار يتقدم ماجد في نشاط وقد بدا عليه كأنه استعاد نشاطه وحيويته السابقة.. وأن شيئاً ما لن يمكنه الوقوف في وجهه أبداً.

عاد عامر الرشيدي مقاتلاً من طراز خاص.. فتبعه ماجد في صمت لا يخلو من إعجاب وكأنما عادت السنوات تكرر نفسها للخلف، عندما كان رقم (٣١٢) يتقدمه دائماً باعتباره أستاذه ومعلمه.

وعندما أوشك النهار على الغروب ظهر على مسافة، جبل بعيد يشق رأسه قلب السماء وتحيطه الرهبة والغموض.. وتوقف عامر الرشيدي لاهثاً وهو ينظر تجاه الجبل البعيد ثم قال بصوت يحمل الرهبة:

ها قد وصلنا إلى بغيتنا.. جبل الشيطان الشهير.

وأضاف باسماً: والآن حان موعد كشف مفاجأة أخرى يا رقم (٧٠٠) قبل أن تخطو خطوة جديدة.

والتقط سكين ماجد وأخذ يجز بها شعره، فهتف ماجد بدهشة: ماذا تفعل يا رقم (٣١٢)؟

ولكن عامر واصل مهمته في صمت حتى جز شعره تماماً وظهر رأسه أصلع تماماً..وانحنى أمام ماجد قائلاً: والآن ماذا ترى؟

فحدق ماجد في رأس عامر الأصلع بدهشة غير مصدق ما يراه.. كانت هناك خريطة مرسومة فوق رأسه بحبر أزرق بدا واضحا يبين دروب وأنفاق خاصة داخل جبل الشيطان!

ولم يكن هناك شك في أن تلك الخريطة.. هي خريطة الكنز!!

***
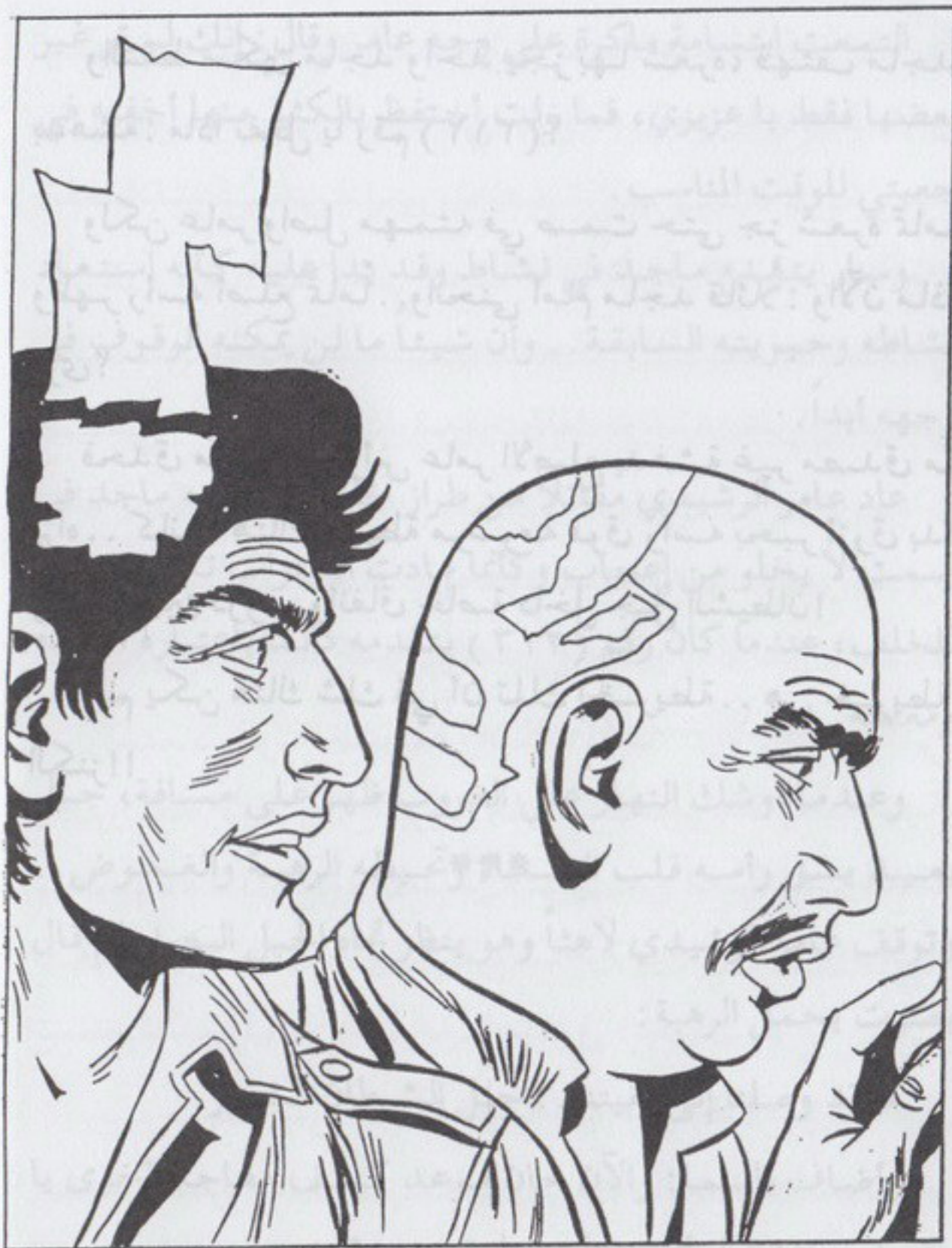
جبل الشيطان

مط ماجد شفتيه وقد ارتسمت نظرة إعجاب واضحة في عينيه وقال لعامر: إنها مفاجأة ممتازة بحق.. لم تخطر ببالي أبداً.

أطلق عامر الرشيدي ضحكة عالية مستمتعة وهو يقول:

-ولا خطرت هذه الفكرة ببال ستيلا أيضاً.. فقد فتشتني ألف مرة بحثاً عن هذه الخريطة ولم يخطر ببالها أنها منقوشة على رأسي.. وليست منقوشة بداخله.. وقد قام زامبو بهذا العمل جيداً فهو ماهر في نقش الخرائط على الرؤوس الحليقة، وانتظر حتى نما شعر رأسي ثانية لكي تبدأ مهمتنا، فأي فضل أدين به لهذا النوبي الأسمر، الذي كان يستحق أن يتوج ملكاً لهذه الغابات الملعونة!

تأمل ماجد رفيقه في ود وقد راقه أن استعاد حيويته ونشاطه فقال له:

- أرى أنك لا تزال تتمتع بروح المفاجآت والدعابة والمغامرة يا رقم (٣١٢).. على حين تحاول أن تبدو كدب كسول غير قادر على العمل..

أشار عامر بأصبعه في وجه ماجد، وقال متخابثاً:

- هذا ضمن قواعد العمل الجيدة أم هل نسيت سريعاً تعليمات معلمك السابق يا رقم (٧٠٠) وهي أن تبدو بعكس حقيقتك دائماً!

أطلق ماجد ضحكة عالية مستمتعاً بدوره، وقال وعيناه تلمعان ببريق كأضواء النجوم: لقد بدأت أحب هذه المهمة برغم كل شيء.

قال رقم (٣١٢) بأسف:

- ولكن المؤسف أنك ترفض الحصول على نتائج إيجابية.

رفع ماجد حاجبيه متسائلاً:

- وهل تعني النتائج الإيجابية قدراً من المال مهما كان حجمه؟

أطلق عامر تنهيدة حارة كرجل يأسف على ماضٍ أثير وقال:

ـ وماذا يمكن لرجل مثلي أن يسعى إليه.. بعد ان انتهت أيام العمل اللذيذة، إنني أحاول أن أشغل نفسي كما ترى، ولا أدخر وسيلة لاقتحام المخاطر حتى لا يصيبني الصدأ وأتحول إلى دجاجة تكاكي وتقفز هنا وهناك دون أن تفعل شيئاً آخر داخل حظيرتها!

فتأمله ماجد وقال بلهجة خاصة: ولكنك تفضل القيام بدور الثعلب الذي يخطف الدجاج من الحظيرة.

انفجر عامر الرشيدي ضاحكاً بقوة حتى دمعت عيناه، ثم توقف عن الضحك وهو يقول: يا له من تشبيه.. إنني منذ زمن لم أضحك بمثل هذه الصورة.

وربت على كتف ماجد مضيفاً: إنني أعترف لك، بأنني أفضل دور الثعلب كثيراً.. فلطالما قمنا به معاً.

والتقط نفساً عميقاً وهو يتأمل قمة الجبل البعيد قائلاً: والآن هيا بنا لنصل إلى كنزنا سريعاً قبل أن تفيق ستيلا من الصدمة الثانية التي تسبب فيها جيشي الخاص.

وسار الاثنان تجاه الجبل، وقال ماجد متسائلاً بعد وقت: ولكنك لم تخبرني يا رقم (٣١٢)، كيف ستغادر هذه الغابات بعد أن نحصل على الكنز، وكيف ستتمكن من حمل نصيبك خارج هذه الغابات، وهو يحتاج إلى شاحنة نقل؟

تلاعبت ابتسامة ماكرة على وجه عامر وقال: لو أخبرتك بالأمر الآن ما كان مفاجأة.. وأنا أفضل التعامل بالمفاجآت.. فهي تبدو أشد تأثيراً في لحظة وقوعها.

أومأ ماجد برأسه صامتاً وعامر يراقبه متخابثاً كأنه يستمتع بذلك..

واستمرا في السير ساعات طوال الليل..

وعند بزوغ ضوء الفجر لامست أقدامهما مشارف الجبل العملاق.. جبل الشيطان.. كان الجبل يبدو مهيباً شامخاً حجارته من الصخر الأسود ويبدو بصمته وشكله كأنما يسكنه الشيطان بالفعل.. وقد بدت صخرة ضخمة في مقدمته كما لو كانت تلا صغيراً تحجب الجبل بأكمله. وعلى مسافة قريبة ظهر شلال ضخم تهدر مياهه من

منحدر بالجبل لتسقط في قلب نهر الأمازون دافعة بكل شيء في طريقها، كما لو كانت مارداً عملاقاً يستحيل على إنسان الوقوف في وجهه.

التفت عامر إلى ماجد قائلاً: والآن يا رقم (٧٠٠) عليك أن تتزود بنظرة جيدة إلى رأسي وتبين موضع الكنز. فربما لا يتاح لنا ذلك جيداً داخل هذا الجبل.

ماجد: لقد ألقيت نظرة من قبل.. وأعتقد أن فيها الكفاية لرجل مثلي.

فرك عامر يديه في نشاط قائلاً:

-رائع.. إن حديثك يبعث بالثقة يا رقم (٧٠٠) ويجعلني لا أخشى حتى الشيطان الذي يسكن هذا الجبل.. ولكننا في حاجة إلى شعلة تنير لنا دروب كهوف هذا الجبل، وتأمن لنا شر مفاجآته.

أجابه ماجد: من اليسير صنع تلك الشعلة بوسائل محلية.

والتقط ثمرة جوز هشمها وسكب عصيرها فوق خرقة فبللها تماماً، ولفها حول طرف غصن أشعل فيه النار بحك

عودين من الخشب بقوة فأمسكت النار بالخرقة المبللة بلبن جوز الهند وصارت تبعث باللهب دون أن تحترق.

وتقدم ماجد داخل فوهة الصخرة الضخمة المؤدية إلى بطن جبل الشيطان.

كان يعي الطريق الذي رسمته الخريطة جيداً.. وكان كل ما يرجوه أن تكون الخريطة صحيحة تماماً وإلا فقد طريقه داخل تلك الكهوف المتشابكة في ممرات لا نهاية لها أشبه بمتاهة جهنمية.

وانحرف في ممر يساراً ثم يميناً ثم توقف على صرخة من عامر.. واتسعت عيناه وبلل جبهته عرق غزير عندما تنبه إلى موضع قدمه.. كان يوشك أن يسقط في هاوية لاقرار لها تحت قدميه.. ولولا صرخة عامر المحذرة لانزلق فيها.

كانت الفوهة بعرض متر فتراجع ماجد إلى الخلف بضع خطوات وقفز فوقها، فتبعه عامر، وربت ماجد على كتفه قائلاً:

بهذا تكون قد رددت دينك لي.

أجابه عامر باسماً: لا عليك.. إنني في الخدمة دائماً.. مثلما كنت في السابق.. وما كادا يخطوان بضع خطوات،

حتى تهاوت من السقف صخرة ضخمة، لولا ان دفع ماجد الصخرة ثم قال: لقد كانت مجهزة لحماية الكنز لتسحق أي شخص يحاول العبور تحتها.

أومأ عامر برأسه صامتاً وقد تجهم وجهه.. وعاود الاثنان السير الحذر وتقدما إلى الأمام مائة متر في ممر منحوت في الصخر، ثم ظهرت ثلاث ممرات أخرى اختار أوسطها للسير فيه، وما كاد يدنو منه حتى توقف عندما سقط لهب الشعلة على شيء راقد في ركن الممر.. كان عدد من الهياكل العظمية التي لاقت مصيرها الأخير في الجبل..

فتبادل ماجد وعامر نظرة صامتة ثم واصلا سيرهما.. وبعد عدة ممرات ملتوية صاعدة إلى أعلى توقف أمام حائط مسدود من حجارة الجبل الصلدة.

تلفت عامر حوله في ذهول قائلاً: لقد وصلنا إلى ممر مسدود.. لا بد أننا سلكنا طريقاً خاطئاً.

ورددت حوائط الغرفة والفراغ صدى صوته عنيفاً متكرراً عدة مرات حتى تلاشى الصوت.. فقال ماجد في ثقة:

- بل إننا في المكان الصحيح.

هتف عامر غاضباً:

- لو كان هذا حقيقياً، لكنا قد انتهينا إلى حجرة الكنز.. فهي في نهاية هذه الممرات الملعونة التي تكشفها الخريطة.. فأين هذا الكنز؟

أجابه ماجد مهدئاً:

إن الكنز موجود قريباً منا.. أقرب مما تظن.. خلف أحد هذه الحوائط حولنا.

تساءل عامر في دهشة:

- ماذا تعني بذلك؟

حك ماجد جبهته مفكراً بعمق وقال:

- أقصد أن الكنز يخفيه أحد هذه الحوائط.. وأن أحدها يدور حول نفسه بطريقة معينة ليكشف عن ذلك الكنز.. وعلينا أن نعثر على تلك الأداة أو الوسيلة التي تجعل الحائط يدور حول نفسه.